الكتاب: الملل والنحل
المؤلف: الشهرستاني
الجزء: ١
الوفاة: ٥٤٨
المجموعة: من مصادر العقائد عند السنيين
تحقيق: محمد سيد كيلاني
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة: دار المعرفة
الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان
ردمك:
ملاحظات: محمد سيد كيلاني ماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة / دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - مستديرة المطار - تجاه بنك سبكو - شارع البرجاوي ص . ب ٧٨٧٦ تلفون : ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ - برقيا معرفكار - بيروت - لبنان

الملل والنحل
تأليف
أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني
(٤٧٩ - ٥٤٨)
الجزء الأول
تحقيق
محمد سيد گيلاني
ماچستر من كلية آداب جامعة القاهرة
دار المعرفة
بيروت - لبنان

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع
مستديرة المطار – تجاه بنك مبكو – شارع البرجاوي ص. ب ٧٨٧٦ تلفون
٨٣٤٣٠١ – ٨٣٤٣٣٢ – برقيا معرفكار بيروت – لبنان

مقدمة
محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
٤٧٩ - ٥٤٨ ه
هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعي المتكلم والمؤلف المشهور ولد ببلدة شهرستان الواقعة في شمال خراسان وبها نشأ وتلقى العلوم على شيوخ عصره مثل احمد الخوافي وأبي القاسم الأنصاري وأبي الحسن المدائني وأبي نصر بن القاسم القشيري وظهر ميله إلى التحصيل واقباله على الدرس منذ صغره وامتاز بجودة الفهم والاستنتاج والاستقصاء في البحث والتعمق في تناول الموضوعات والبعد عن الهوى والاعتدال في اصدار الاحكام وصحة المنهج الذي يسلكه في بحوثه والإحاطة بالموضوع من جميع نواحيه وكان كغيره من علماء عصره يكثر من الرحلات والانتقال من جهة إلى جهة والاجتماع بعلماء تلك الجهات وتلاميذها وعقد مجالس الدرس في مساجدها فطوف بنواحي خوارزم وخراسان وحينما بلغ الثلاثين من عمره شد رحاله إلى مكة لاداء فريضة الحج سنة ٥١٠ ه وبعد ان فرغ من أداء الفريضة غادر مكة قاصدا بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام القى في خلالها كثيرا من الدروس النافعة بالمدرسة النظامية وكان كبار العلماء يحضرون لسماعه والاستفادة منه

وقد اهتم المسلمون بدراسة الأديان والمذاهب للرد على أصحابها والفوا في ذلك كتبا بعضها خاص بطائفة من الطوائف وبعضها عام فألف أبو الحسن الأشعري كتابة مقالات الاسلاميين وألف عبد القاهر البغدادي كتابه الفرق بين الفرق كما الف ابن حزم الظاهري كتابه الفصل في الملل والنحل اما الكتب الخاصة فمثل تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني والكتب الكثيرة التي وضعت في الرد على النصارى واليهود أو في رد بعض الفرق الاسلامية على بعضها الاخر

الا ان كتاب الملل والنحل للشهرستاني يمتاز عن غيره من الكتب التي ألفت في هذا الموضوع بميزة جعلته فريدا في بابه فهو دائرة معارف مختصرة للأديان والمذاهب والفرق وللاراء الفلسفية المتعلقة بما وراء الطبيعة التي عرفت في عصر المؤلف وقد حاز هذا الكتاب اعجاب الناس وتقديرهم في الشرق والغرب فنجد مثلا العالم الألماني هابركر يقول في مقدمة ترجمته للملل والنحل بواسطة الشهرستاني في كتابه الملل والنحل تستطيع ان نسد الثغرة في تاريخ الفلسفة بين القديم والحديث وقال العالم الألماني ملخ وكان في عصره من المتخصصين في الفلسفة اليونانية انه لا يشك في صحة ما نسبه الشهرستاني من الأقوال إلى ديمقريطيس على الرغم من انه لم يجد هذه الأقوال محفوظة بين ما نقله كتاب الإغريق عن ديمقريطيس

الا اننا نجد احمد امين يتنقص من قدر الشهرستاني ويطعن في قيمته العلمية ويقلل من شأنه فيقول في مقدمة قصة الفلسفة اليونانية ما نصه ورأيت مؤلفي العرب كالشهرستاني والقفطي وأمثالهما قد خلطوا حقا وباطلا فكثيرا ما نسبوا القول إلى غير قائله وترجموا حياة الفيلسوف ترجمة لا يقرها التاريخ الصحيح وخلعوا عليها من خيالهم الإسلامي ما لا يتفق وحياة الفلاسفة واليونانيين الوثنيين ولا شك في أن أحمد أمين لم يكن مفقا إلى الصواب فيما قاله عن الشهرستاني وإليك الدليل

قال الشهرستاني تحت عنوان رأى تاليس ما نصه ومن العجب أنه نقل عنه أن المبدع الأول هو الماء قال الماء قابل لكن صوره ومنه وأبدع الجواهر كلها من السماء والأرض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر أن جمود الماء تكونت الأرض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوة الهواء تكونت النار ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها اليه وجاء في قصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين تحت عنوان طاليس ص ١٩ ما نصه وإذا التمس الفكر الإنساني مادة تكون أصلا لكل ما يشمل الوجود من ظواهر فلن يصادف إلا عددا قليلا من ألوان المادة التي يجوز عقلا أن تكون كذلك إذ لا بد لتلك المادة الأولية المنشودة ان تكون مرنه شديدة المرونة في قابليتها للتشكل في صور مختلفة وألا تكون محدودة الصفات محصورة الخواص حتى تتسع لكل شيءأفلا تستطيع أن تحرز ماذا تكون تلك المادة الأولية عند قوم يتاخمون البحر فترسخ في نفوسهم صورته ويدوي في اسماعهم هديره كلما أمسى مساء أو أصبح صباح إنها الماء فليس عجيبا إذن أن ينهض طاليس أول فيلسوف عرفته الدنيا وأجمع على فلسفته المؤرخون ويجهر بأن الماء هو قوام الموجودات بأسرها فلا فرق بين هذا الإنسان وتلك الشجرة وذلك الحجر إلا الاختلاف في كمية الماء الذي يتركب منها هذا الشيء أو ذلك أليس الماء يستحيل إلى صور متنوعة فيصعد في الفضاء بخارا ثم يعود فيهبط فوق الأرض مطرا ثم يصيبه برد الشتاء فيكون ثلجا واذن فهو غاز حينا وسائل حينا وصلب حينا وكل ما يقع في الوجود لا يخرج عن احدى هذه الصور الثلاث

كان الماء عند طاليس هو المادة الأولى التي صدرت عنها الكائنات واليها تعود فأي فرق بين ما ذكره الشهرستاني عن تاليس وبين ما ذكره أحمد أمين بل إن

الشهرستاني كان أدق في عباراته وفي تناوله للموضوع من أحمد أمين الذي تبدو عليه السطحية والسذاجة

ربط الشهرستاني بين ما قاله تاليس عن الماء وبين ما جاء في سفر التكوين السابق على عصر تاليس وهو إن مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظرة الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السماوات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الأرض ثم ارساها بالجبال

في حين أن أحمد أمين علل رأى تاليس في الماء بأن هذا الفيلسوف كان يسكن على شاطيء البحر ويسمع هدير الماء صباح مساء ويرد على هذا الرأي الفاسد أن هناك فلاسفة كانوا يسكنون على شاطىء البحر وفي نفس المدينة التي كان يقيم بها تاليس ولكنهم لم يقولوا إن الماء هو المبدع الأول الذي ظهرت منه سائر الموجودات

وانظر إلى ما أورده الشهرستاني تحت عنوان رأى انكساغورس وهو قال إن مبدأ الموجودات هو جسم أول متشابه الأجزاء وهي أجزاء أجزاء لطيفة لا يدركها الحس ولا ينالها العقل منها كون الكون العلوي منه والسفلي لأن المركبات مسبوقة بالبسائط والمختلفات أيضا مسبوقة بالمتشابهات

وحكى فرفوريوس عنه انه قال إن أصل الأشياء جسم واحد موضوع الكل لا نهاية له ولم يبين ما ذلك الجسم أهو من العناصر أم خارج عن ذلك قال ومنه تخرج جميع الأجسام والقوة الجسمانية والأنواع والأصناف

وجاء عند أحمد أمين ص ٢٢ كلا لا يمكن أن يكون الماء أصلا للوجود فمهما بلغ الماء من المرونة وقابلية التشكل فهو ذو صفات معروفة معينة تستطيع أن تميزه بها عن المواد الأخرى إنما أصل الكون مادة لا شكل لها ولا نهاية ولا حدود

وقال الشهرستاني تحت عنوان رأى أنكسيمانس ما نصه ونقل عنه أيضا أن أول الأوائل من المبدعات هو الهواء ومنه تكون جميع ما تكون في العالم من الأجرام العلوية والسفلية
قال ما كون من صفو الهواء المحض لطيف روحاني لا يدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث وما كون من كدر الهواء كثيف جسماني يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه وذلك عالم الروحانيات وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره وذلك عالم الجسمانيات ولعله جعل الهواء أول الأوائل لموجودات العالم الجسماني كما جعل العنصر أول الأوائل لموجودات العالم الروحاني
وهو على مثال مذهب تاليس إذ أثبت العنصر والماء في مقابلته وهو قد أثبت العنصر والهواء في مقابلته
وعند أحمد أمين ص ٢٤ إذا كان الماء الذي فرضه تاليس أصلا للكون لم يصادف من العقل اطمئنانا لأنه ليس من الشمول بحيث يسع الكون بأسره وإذا كانت مادة انكسمندر التي ليس لها شكل ولا حدود لم تسلم من النقد فقد نهض أنكسمينس واختار مادة ثالثة فيها الشمول الذي ينقص الماء وفيها الصفات التي تعوز مادة انكسمندر ألا وهى الهواء فهو ذو صفات معروفة لا تنكر وهو في نفس الوقت يشيع في كل أنحاء الوجود يغلف الآرض ويملأ في نظره جوانب السماء بل ويتغلغل في الأشياء والأحياء مهما دقت أليست الحياة في صميمها أنفاسا من الهواء تتردد في الصدر شهيقا وزفيرا إذن فهو الجوهر الأول الذي صدرت عنه جميع الكائنات يتكاثف حينا فيكون شيئا ويتخلخل حينا فيكون شيئا آخر والهواء إذا أمعن في تخلخله انقلب نارا فإذا ارتفعت كونت الشموس والأقمار وإذا هو أمعن في التكاثف انقلب سحابا ثمأنزل السحاب ماء ثم تجمد الماء فإذا هو تربه وصخور

هذه أمثلة كافية تبين بوضوح كيف تجنى أحمد أمين على الشهرستاني حين وصفه بأنه يخلط حقا بباطل في الفلسفة اليونانية

وللشهرستاني مؤلفات كثيرة نذكر منها:

١ – المصارعة قال ابن قيم الجوزية ص ٢٦٣ ج ٢ إغاثة اللهفان طبع مصطفى البابي الحلبي ١٩٦١ م وصارع محمد الشهرستاني ابن سيناء في كتاب سماه المصارعة أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد ونفى علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم فقام له نصير الإلحاد وقعد ونقضه بكتاب سماه مصارعة المصارعة ووقفنا على الكتابين نصر فيه أن الله تعالى لم يخلق السماوات والأرض في ستة أيام وأنه لا يعلم شيئا وأنه لا يفعل شيئا بقدرته واختياره ولا يبعث من في القبور ونصير الإلحاد الذي ذكره ابن القيم هو نصير الدين الطوسي

٢) نهاية الأقدام في علم الكلام نشره المستشرق الإنجليزى الفردجيوم سنة ١٩٣٤ م

٣) الجزء الذي لا يتجزأ ألحقه الفردجيوم بالكتاب السابق

٤) الإرشاد إلى عقائد العباد ذكره الشهرستاني في كتابه نهاية الأقدام

٥) شبهات أرسطو طاليس وابن سينا ونقضها ذكره الشهرستاني

٦) نهاية الأوهام أشار إليه الشهرستاني في كتابه نهاية الأقدام

وهناك كتب أخرى نسبها إليه بعض المؤرخين ولم نعثر عليها

وقد ترجم كتاب الملل والنحل إلى اللغة الفارسية والتركية والألمانية وطبع في أوروبا عدة طبعات وفي فارس والهند وتركيا وظهرت منه في مصر عدة طبعات وعنى بعضهم بتخريجه وتحقيقه والتعليق عليه

وحينما فكرت في تحقيق هذا الكتاب رأيت أن أرجع إلى النسخ الخطية الموجودة منه في دار الكتب المصرية وفي المكتبة التيمورية وفي مكتبة الجامعة الأزهرية وجامعة الدول العربية

أما الشريط المحفوظ بمكتبة جامعة الدول العربية تحت رقم ٣١٥١ فاتح فلم أطلع عليه لأني أخبرت أنه غير صالح لخلل وقع في أثناء التقاطه وأحياتا يقولون إن آلات القراءة مختلة وهكذا تنفق الأموال الطائلة في إرسال الموظفين إلى الخارج وفي شراء الأشرطة الخام وفى نقل المخطوطات عليها وفى مرتبات الموظفين الذين يعملون بالمكتبة المذكورة ثم تبحث بعد ذلك عن الفوائد العلمية التي تعود على الأفراد أو على المجتمع فلا تجد شيئا لا كثيرا ولا قليلا

وأما نسخة دار الكتب فبها نقص وتحريف وتصحيف وقد كتبت سنة ١١١٧ ه

والنسخة التيمورية جيدة الخط ذكر في نهايتها أنها حررت في دار السلطنة العلية سنة ١١٨٤ ه

وفي مكتبة الجامعة الأزهرية نسخة كتبت سنة ١٠٨٩ ه عن نسخة مخطوطة سنة ٥٩٨ ه وبها نسختان أخريان لم يعلم تاريخ كتابتهما

وقد استعنت ببعض الكتب النافعة فيما كتبته بالهوامش مثل مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي وتحقيق ما للهند من مقولة للبيروني والكامل للمبرد وغيرها مما يراه القارئ واستفدت كثيرا من طبعة كيورتن كما انتفعت بطبعة الشيخ محمد فتح الله بدران

أما تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول ووضع العناوين الكثيرة فهذا ليس من عمل الشهرستاني وإنما هو عمل قمت به تسهيلا للقارئ

وقد رأيت إحياء لذكرى المؤلف أن ألحق كتابه بذيل مختصر أسلك فيه مسلكه وأنهج نهجه فأتكلم عما فاته أن يتكلم عليه من الديانات القديمة كديانة قدماء المصريين والديانة الصينية واليابانية ثم أتناول بعض الملل والفرق التي ظهرت حديثا كالبهائية والقاديانية والله الموفق والمعين محمد سيد كيلاني القاهرة في ٢٥ محرم ١٣٨١ ه ٨ يوليه ١٩٦١ م

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعائمه كلها حمدا كثيرا طيبا مباركا كما هو أهله وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها إلى يوم الدين كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنه حميد مجيد

وبعد فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص أوانسها وشواردها أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون وانتحله المنتحلون عبرة لمن استبصر واستبصارا لمن اعتبر

وقبل الخوض فيما هو الغرض لا بد من أن أقدم خمس مقدمات المقدمة الأولى في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة المقدمة الثانية في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية المقدمة الثالثة في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة ومن مصدرها ومن مظهرها

المقدمة الرابعة في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيفية انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها المقدمة الخامسة في بيان السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب

المقدمة الأولى

في بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة ١ من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة وأعطى أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس التي تدل عليها الألوان والألسن ٢ ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ووفر على كل قطرحقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع ٣ ومنهم من قسمهم بحسب الأمم فقال كبار الأمم أربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زواج بين أمة وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور الجسمنيه ٤ ومنهم من قسمهم بحسب الآراء والمذاهب وذلك غرضنا في تأليف هذا الكتاب وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى إلى أهل الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل

فأرباب الديانات مطلقا مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين
وأهل الأهواء والآراء مثل الفلاسفة والدهرية والصابئة وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة
ويفترق كل منهم فرقا فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها فاقترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة والناجية ابدا من الفرق واحدة إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل إلا وأن تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق في إحداهما دون الأخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في أصول المعقولات بأنهما محقان صادقان وإذا كان الحق في كل مسألة عقلية واحدا فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة وإنما عرفنا هذا بالسمع وعنه أخبر التنزيل في قوله عز وجل * (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) * وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى قيل ومن الناجية قال أهل السنة والجماعة قيل وما السنة والجماعة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي
وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة
وقال عليه الصلاة والسلام لا
تجتمع أمتي على ضلالة

المقدمة الثانية
في تعيين قانون يبنى عليه تعديد الفرق الإسلامية
اعلم أن لأصحاب المقالات طرقا في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى أصل ونص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق
ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أن ليس كل من تميزه عن غيره بمقالة ما في مسألة ما عد صاحب مقاله وإلا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد ويكون من انفرد بمسألة في أحكام الجواهر مثلا معدودا في عداد أصحاب المقالات فلا بد إذن من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافا يعتبر مقالة ويعد صاحبه صاحب مقالة
وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط إلا أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفق وعلى الوجه الذي وجد لا على قانون مستقر وأصل مستمر فأجتهدت على ما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير حتى حصرتها في أربع قواعد هي الأصول الكبار
القاعدة الأولى الصفات والتوحيد فيها وهى تشتمل على مسائل الصفات الأزلية إثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى وما يجوز عليه وما يستحيل وفيها الخلاف بين الأشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة
القاعدة الثانية القدر والعدل فيه وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب وإرادة الخير والشر والمقدور والمعلوم إثباتا عند جماعة ونفيا

عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية والأشعرية والكرامية
القاعدة الثالثة الوعد والوعيد والأسماء والأحكام وهي تشتمل على مسائل الإيمان والتوبة والوعيد والإرجاء والتفكير والتضليل إثباتا على وجه عند جماعة ونفيا عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والأشعرية والكرامية
القاعدة الرابعة السمع والعقل والرسالة والإمامة وهي تشتمل على مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والأصلح واللطف والعصمة في النبوة وشرائط الإمامة نصا عند جماعة وإجماعا عند جماعة وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية إثباتها على مذهب من قال بالإجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والإشعرية

فإذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الأمة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقه وإن وجدنا واحدا انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته فرقة بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باق مقالاته إلى الفروع التي لا تعد مذهبا مفردا فلا تذهب المقالات إلى غير النهاية فإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبينت أقسام الفرق الإسلامية وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل بعضها في بعض

كبار الفرق الاسلامية اربع

١) القدرية ٢) الصفاتية ٣) الخوارج ٤) الشيعة ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة

ولأصحاب كتب المقالات طريقان في الترتيب أحدهما أنهم وضعواالمسائل أصولا ثم أوردوا في كل في مسألة مذهب طائفة وفرقة فرقة والثاني أنهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات أصولا ثم أوردوا مذاهبهم في مسألة مسألة وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة لأني وجدتها أضبط للأقسام وأليق بباب الحساب
وشرطى على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحة من فاسده وأعين حقه من باطله وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل
وبالله التوفيق
المقدمة الثالثة
في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها في الأول ومن مظهرها في الآخر
اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنة الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين
وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة إنجيل لوقا ومارقوس ويوحنا ومتى ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه

قال كما نقل عنه إني سلمت أن الباري تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته وأنه مهما أراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة قالت الملائكة ما هي وكم هي قال لعنة الله سبع
الأول منها أنه قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عنى ويحصل منى فلم خلقني أولا وما الحكمة في خلقه إياي والثاني إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في هذا التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية والثالث إذ خلقني وكلفنى فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي إياه والرابع إذ خلقني وكلفنى على الإطلاق وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فإذا لم أسجد لآدم فلم لعننى وأخرجني من الجنة وما الحكمة في ذلك بعد أن لم أرتكب قبيحا إلا قولي لا أسجد إلا لك والخامس إذ خلقني وكلفنى مطلقا وخصوصا فلم أطع فلعننى وطردني فلم طرقني إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستى فأكل من الشجرة المنهى عنها وأخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة لاستراح منى آدم وبقى خالدا فيهاوالسادس إذ خلقني وكلفنى عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني إلى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يروننني وتؤثر فيهم وسوستى ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة

في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة
والسابع سلمت هذا كله خلقني وكلفنى مطلقا ومقيدا وإذا لم أطع لعننى وطردني وإذا أردت دخول الجنة مكننى وطرقنى وإذا عملت عملي إخرجنى ثم سلطني على بنى آدم فلم إذا استمهلته أمهلني فقلت أنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكنى في الحال استراح آدم والخلق منى وما بقي شر ما في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر قال فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة
قال شارح الإنجيل فأوحى الله تعالى إلى الملائكة عليهم السلام قولوا له إنك في تسليمك الأول أنى إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص إذ لو صدقت أنى إله العالمين ما احتكمت على بلم فأنا الله الذي لا اله إلا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون ولهذا الذي ذكرته مذكور في التوراة ومسطور في الإنجيل على الوجه الذي ذكرته
وكنت برهة من الزمان اتفكر وأقول من المعلوم الذي لا مرية فيه أن كل شبهة وقعت لبنى آدم فإنما وقعت من إضلال الشيطان الرجيم ووساوسه ونشأت من شبهاته وإذا كانت الشبهات محصورة في سبع عادت كبار البدع والضلالات إلى سبع ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر والضلال هذه الشبهات وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص

هذا ومن جادل نوحا وهودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله عليهم أجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم وجحد أصحاب الشرائع والتكاليف بأسرهم إذ لا فرق بين قولهم * (أبشر يهدوننا) * وبين قوله * (أأسجد لمن خلقت طينا) * وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الافتراق ما هو في قوله تعالى * (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) * فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى كما قال المتقدم في الأول * (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) * وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم * (أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) * وكذلك لو تعقبنا أقوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل

فاللعين الأول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل لزمه أن يجرى حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق والأول غلو والثاني تقصير

فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غلوا في حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بأوصاف الإله

وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى حتى وصفوه بصفات المخلوقين

فالمعتزلة مشبهة الأفعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم أعور بأي عينيه شاء فإن من قال إنما يحسن منه ما يحسن منا ويقبح منه ما يقبح منا فقد شبه الخالق

بالخلق ومن قال يوصف الباري تعالى بما يوصف به الخلق أو يوصف الخلق بما يوصف به الباري تعالى فقد اعتزل عن الحق وسنخ القدرية طلب العلة في كل شيء وذاك من سنخ اللعين الأول إذ طلب العلة في الخلق أولا والحكمة في التكليف ثانيا والفائدة في تكليف السجود لادم عليه السلام ثالثا وعنه نشأ مذهب الخوارج إذ لا فرق بين قولهم لاحكم إلا لله ولا نحكم الرجال وبين قوله لا أسجد إلا لك أأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وبالجملة كلا طرفي قصد الأمور ذميم فالمعتزلة غلو في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا إلى التعطيل بنفي الصفات والمشبهة قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الأجسام والروافض غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول والخوارج قصروا حتى نفوا تحكيم الرجال

وأنت ترى إذا نظرت أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الأول وتلك في الأول مصدرها وهذه في الآخرة مظهرها وإليه أشار التنزيل في قوله تعالى * (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) *

وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الأمة بأمة ضالة من الأمم السالفة فقال

القدرية مجوس هذه الأمة وقال

المشبهة يهود هذه الأمة والروافض نصاراها

وقال عليه الصلاة والسلام جملة

لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه

المقدمة الرابعة
في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية وكيفية انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها
وكما قررنا أن الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان كذلك يمكن أن نقرر في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملة وشريعة أن شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين وإن خفى علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادى الزمان فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقى زمن النبي عليه الصلاة والسلام إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه
اعتبر حديث ذي الخويصرة التميمي إذ قال اعدل يا محمد فإنك لم تعدل حتى قال عليه الصلاة والسلام
إن لم أعدل فمن يعدل
فعاد اللعين وقال هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى وذلك خروج صريح على النبي عليه الصلاة والسلام ولو صار من اعترض على الإمام الحق خارجيا فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجيا أوليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى في مقابلة النص واستكبارا على الأمر بقياس العقل حتى قال عليه الصلاة والسلام
سيخرج من ضئضى هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الخير بثمامه
واعتبر حال طائفة أخرى من المنافقين يوم أحد إذ قالوا * (هل لنا من الأمر من

شيء) * وقولهم * (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) * وقولهم * (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) * فهل ذلك إلا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين * (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) * وقول طائفة * (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) * فهل هذا إلا تصريح بالجبر

واعتبر حال طائفة أخرى حيث جادلوا في ذات الله تفكرا في جلاله وتصرفا في أفعاله حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى * (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) * فهذا ما كان في زمانه عليه الصلاة والسلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر وإنما يظهر نفاقهم بالاعتراض في كل وقت على حركاته وسكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهرت منها الشبهات كالزروع

وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته بين الصحابة رضى الله عنهم فهي اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين

فأول تنازع وقع في مرضه عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال

لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه قال أئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فقال عمر رضي الله عنه

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبي صلى الله عليه وسلم

قوموا عني لا ينبغي عندي التازع قال ابن عباس

الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى عليه وسلم

الخلاف الثاني في مرضه أنه قال
جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه فقال قوم يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشتد مرض النبي عليه الصلاة والسلام فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أي شئ يكون من أمره
وإنما أوردت هذين التنازعين لأن المخالفين ربما عدوا ذلك من الخلافات المؤثرة في أمر الدين وليس كذلك وإنما الغرض كله إقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب وتسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الأمور
الخلاف الثالث في موته عليه الصلاة والسلام قال عمر بن الخطاب من قال إن محمد قد مات قتلته بسيفي هذا وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام وقال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد إله محمد فإن إله محمد حي لم يمت ولن يموت وقرأ قول الله سبحانه وتعالى * (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) * فرجع القوم إلى قوله وقال عمر رضي الله عنه
كأني ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر
الخلاف الرابع في موضع دفن عليه الصلاة والسلام أراد أهل مكة من المهاجرين رده إلى مكة لأنها مسقط رأسه ومأنس نفسه وموطىء قدمه وموطن أهله وموقع رحله وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة لأنها دار هجرته ومدار نصرته وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس لأنه موضع دفن الأنبياء ومنه معراجه إلى السماء ثم اتفقوا

على دفنه بالمدينة لما روى عنه عليه الصلاة والسلام
الأنبياء يدفنون حيث يموتون
الخلاف الخامس في الإمامة وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف
في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان وقد سهل الله تعالى
في الصدر الأول فاختلف المهاجرون والأنصار فيها فقالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير
واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الأنصاري فاستدركه أبو بكر وعمر رضى
الله عنهما في الحال بأن حضرا سقيفة بنى ساعدة وقال عمر
كنت أزور في نفسي كلاما في الطريق فلما وصلنا إلى السقيفة أردت أن أتكلم فقال
أبو بكر
مه يا عمر فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما كنت أقدره في نفسي كأنه يخبر عن غيب
فقبل أن يشتغل الأنصار بالكلام مددت يدي إليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الفتنة إلا
أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى اله المسلمين شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه فأيما
رجل بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فإنهما تغرة يجب أن يقتلا
وإنما سكتت الأنصار عن دعواهم لرواية أبى بكر عن النبي عليه الصلاة والسلام
الأئمة من قريش
وهذه البيعة هي التي جرت في السقيفة ثم لما عاد إلى المسجد انثال الناس عليه وبايعوه
عن رغبة سوى جماعة من بنى هاشم وأبى سفيان من بنى أمية وأمير المؤمنين على بن
أبى طالب رضى الله عنه كان مشغولا بما أمره النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيزه
ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة

الخلاف السادس في أمر فدك والتوارث عن النبي عليه الصلاة والسلام ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة وتمليكا أخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه الصلاة والسلام
نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة
الخلاف السابع في قتال مانعى الزكاة فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة
وقال قوم بل نقاتلهم حتى قال أبو بكر رضى الله عنه
لو منعوني عقالا مما أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ومضى بنفسه إلى قتالهم ووافقه جماعة الصحابة بأسرهم وقد أدى اجتهاد عمر رضى الله عنه في أيام خلافته إلى رد السبايا والأموال إليهم وإطلاق المحبوسين منهم والإفراج عن أسراهم
الخلاف الثامن في تنصيص إبى بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال قد وليت علينا فظا غليظا وارتفع الخلاف بقول أبى بكر
لو سألني ربى يوم القيامة لقلت وليت عليهم خيرهم لهم
وقد وقع في زمانه اختلافات كثيرة في مسائل ميراث الجد والاخوة والكلالة وفى عقل الأصابع وديات الأسنان وحدود بعض الجرائم التي لم يرد فيها نص وإنما أهم أمورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله تعالى الفتوح على

المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلهم يصدرون عن رأى عمر رضى الله عنه وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم

الخلاف التاسع في أمر الشورى واختلاف الآراء فيها واتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضى الله عنه وانتظم الأمر واستمرت الدعوة في زمانه وكثرت الفتوح وامتلأ بيت المال وعاشر الخلق على أحسن خلق وعاملهم بأبسط يد غير أن أقاربه من بنى أمية قد ركبوا نهابر فركبته وجاروا فجير عليه ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثا كلها محالة على بنى أمية

منها رده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسمى طريد رسول الله وبعد أن تشفع إلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أيام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخا

ومنها نفيه أبا ذر إلى الربذة وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم أفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار

ومنها إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبى سرح وكان رضيعه بعد أن أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمه وتوليته إياه مصر بأعمالها وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث إلى غير ذلك مما نقموا عليه وكان أمراء جنوده معاوية ابن أبى سفيان عامل الشام وسعد بن أبى وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن سعد بن أبى سرح عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه وقتل مظلوما في داره وثارت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه ولم تسكن بعد

الخلاف العاشر في زمان أمير المؤمنين على رضى الله عنه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له فأوله خروج طلحة والزبير إلى مكة ثم حمل عائشة إلى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل والحق أنهما رجعا وتابا إذ ذكرهما أمرا فتذكراه فأما الزبير فقتله ابن جرموز بقوس وقت الانصراف وهو في النار لقول النبي صلى الله عليه وسلم بشر قاتل ابن صفية بالنار

وأما طلحة فرماه مروان ابن الحكم بسهم وقت الإعراض فخر ميتا واما عائشة رضى الله عنها فكانت محمولة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته مشهور وكذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقدا وقولا ونصب القتال معه فعلا ظاهرا معروف وبالجملة كان على رضى الله عنه مع الحق والحق معه وظهر في زمانه الخوارج عليه مثل الأشعث ابن قيس ومسعود بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبإ وجماعة معه ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم

يهلك فيه اثنان محب غال ومبغض قال

وانقسمت الاختلافات بعده إلى قسمين أحدهما الاختلاف في الإمامة والثاني الاختلاف في الأصول

والاختلاف في الإمامة على وجهين أحدهما القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار والثاني القول بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين
فمن قال أن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بإمامة كل من اتفقت عليه الآمة أو جماعة معتبرة من الأمة إما مطلقا وإما بشرط أن يكون قرشيا على مذهب قوم وبشرط أن يكون هاشميا على مذهب قوم إلى شرائط أخرى كما سيأتي
ومن قال بالأول قال بإمامة معاوية وأولاده وبعدهم بخلافة مروان وأولاده
والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم ويجرى على سنن العدل في معاملاتهم وإلا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه
ومن قالوا أن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد على رضى الله عنه فمنهم من قال إنه نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال إنه لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلا ومنهم من قال أنه مات وانتقلت الإمامة بعده إلى ابنه أبى هاشم وافترق هؤلاء فمنهم من قال الإمامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال إنها انتقلت إلى غيره واختلفوا في ذلك الغير فمنهم من قال هو بنان ابن سمعان النهدي ومنهم من قال هو على بن عبد الله بن عباس ومنهم من قال هو عبد الله بن حرب الكندي ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب وهؤلاء كلهم يقولون إن الدين طاعة رجل ويتأولون أحكام الشرع كلها على شخص معين كما ستأتي مذاهبهم
وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقال بالنص على الحسن والحسين رضى الله عنهما وقال
لا إمامة في الأخوين إلا الحسن والحسين رضى الله عنهما ثم اختلفوا فمنهم من أجرى الإمامة في أولاد الحسن فقال بعده بإمامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه إبراهيم الإمامين وقد خرجا في أيام المنصور فقتلا في أيامه ومن

هؤلاء من يقول برجعه محمد الإمام ومنهم من أجرى الوصية في أولاد الحسين وقال بعده بإمامة ابنه على بن الحسين زين العابدين نصا عليه ثم اختلفوا بعده فقالت الزيدية بامامة ابنه زيد ومذهبهم أن كل فاطمى خرج وهو عالم زاهد شجاع سخى كان اماما واجب الاتباع وجوزوا رجوع الإمامة إلى أولاد الحسن ثم منهم من وقف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بامامة كل هذا حاله في كل زمان وسيأتي فيما بعد تفصيل مذاهبهم وأما الامامية فقالوا محمد بن على الباقر نصا عليه ثم بامامة جعفر ابن محمد الصادق وصية اليه ثم اختلفوا بعده في أولاده من المنصوص عليه وهم خمسة محمد وإسماعيل وعبد الله وموسى وعلى فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بامامة إسماعيل وانكر موته في حياة أبيه وهم المباركية ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ومنهم من ساق الإمامة في أولاده نصا بعد نص إلى يومنا هذا وهم الإسماعيلية ومنهم من قال بامامة عبد الله الأفطح وقال برجعته بعد موته لأنه مات ولم يعقب ومنهم من قال بامامة موسى نصا عليه إذ قال والده سابعكم قائمكم الا وهو سمى صاحب التوراة ثم هؤلاء اختلفوا فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته إذ قال لم يمت هو ومنهم من توقف في موته وهم الممطورة ومنهم من قطع بموته وساق الإمامة إلى ابنه على بن موسى الرضا وهم القطعية ثم هؤلاء اختلفوا في كل ولد بعده فالاثنا عشرية ساقوا الإمامة من على الرضا إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه على ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى ابنه محمد القائم المنتظر الثاني عشر وقالوا هو حي لم يمت ويرجع فيملا الدنيا عدلا كما ملئت جورا وغيرهم ساقوا الإمامة إلى الحسن العسكري ثم قالوا بامامة أخيه جعفر وقالوا بالتوقف عليه أو قالوا بالشك في حال محمد ولهم خبط طويل في سوق الإمامة والتوقف والقول بالرجعة بعد الموت والقول الغيبة ثم بالرجعة بعد الغيبة فهذه جملة الاختلاف في الإمامة وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب

واما الاختلافات في الأصول فحدثت في اخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الأسواري في القول بالقدر وانكار إضافة الخير والشر إلى القدر ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص أيام بنى أمية ثم والى المنصور وقال بإمامته ومدحه المنصور يوما فقال نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو بن عبيد

والوعيديه من الخوارج والمرجئة من الجبرية

والقدرية ابتدءوا بدعتهم في زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن أستاذه بالقول منه بالمنزلة بين المنزلتين فسمى هو وأصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن على واخذ الأصول فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن على لأنه خالف مذهب ابائه في الأصول وفى التبري والتولى وهم أهل الكوفة وكانوا جماعة سموا رافضة ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم الكلام اما لان اظهر مسالة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسالة الكلام فسمى النوع باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان

وكان أبو الهذيل العلاف شيخهم الأكبر وافق الفلاسفة في ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرة وقدرته ذاته وابدع بدعا في الكلام والإرادة وافعال العباد والقول بالقدر والآجال والأرزاق كما سيأتي في حكاية مذهبه وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات في احكام التشبيه وأبو يعقوب الشحام والادمى صاحبا أبى الهذيل وافقاه في ذلك كله

ثم إبراهيم بن سيار النظام في أيام المعتصم كان غلا في تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد عن السلف ببدع في القدر والرفض وعن أصحابه بمسائل نذكرها ومن أصحابه محمد بن شبيب وأبو شمر وموسى بن عمران والفضل الحدثى واحمد بن خابط ووافقه الاسوارى في جيع ما ذهب اليه من البدع وكذلك الاسكافية أصحاب أبى جعفر الإسكافي والجعفرية أصحاب الجعفر بن جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب

ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر من القول بالتولد والافراط فيه والميل إلى الطبيعيين من الفلاسفة والقول بان الله تعالى قادرعلى تعذيب الطفال وإذ فعل ذلك فهو ظالم إلى غير ذلك مما تفرد به عن أصحابه

وتلمذ له أبو موسى المردار راهب المعتزلة وانفرد عنه بابطال اعجاز القران من جهة الفصاحة والبلاغة وفى أيامه جرت أكثر التشديدات على السلف لقولهم بقدم القران وتلمذ له الجعفران وأبو زفر ومحمد بن سويد صاحبا المردار وأبو جعفر الإسكافي وعيسى بن الهيثم صاحبا جعفر بن حرب الأشج

وممن بالغ في القول بالقدر هشام بن عمرو الفوطي والأصم من أصحابه وقدحا في امامة على لرضى الله عنه بقولهما ان الإمامة لا تنعقد الا باجماع الأمة عن بكرة أبيهم والفوطى والأصم اتفقا على ان الله تعالى يستحيل ان يكون عالما بالأشياء قبل كونها ومنعا كون المعدوم شيئا

وأبو الحسين الخياط واحمد بن على الشطوى صحبا عيسى الصوفي ثم لزما ابا مجالد وتلمذ الكعبي لأبي الحسين الخياط ومذهبه بعينه مذهبه واما معمر بن عباد السلمى وثمامة بن أشرس النميري وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فكانوا في زمان واحد متقاربين في الرأي والاعتقاد منفردين عن أصحابهم بمسائل في موضعها نذكرها والمتأخرون منهم أبو على الجبائي وابنه أبو هاشم والقاضي عبد الجبار

وأبو الحسين البصري قد لخصوا طرق أصحابهم وانفردوا عنهم بمسائل ستأتي
اما رونق الكلام فابتداؤه من الخلفاء العباسيين هارون والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وانتهاؤه من الصاحب بن عباد وجماعة من الديالمة
وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو وحفص الفرد والحسين النجار ومن المتأخرين خالفوا الشيوخ في مسائل ونبغ منهم جهم بن صفوان في أيام نصر بن سيار واظهر بدعته في الجبر بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازني في اخر ملك بنى أمية بمرو
وكانت بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات وكان السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قول اقناعي ويسمون الصفاتية فمن مثبت صفات الباري تعالى معاني قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة ويناظرون المعتزلة في قدم العالم على قول ظاهر وكان عبد الله بن سعيد الكلابي وأبو العباس القلانسي والحارث بن أسد المحاسبي أشبههم اتقانا وامتنهم كلاما وجرت مناظرة بين أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعري وبين أستاذه أبى على الجبائي في بعض مسائل التحسين والتقبيح فالزم الأشعري أستاذه أمورا لم يخرج عنها بجواب فاعرض عنه وانحاز إلى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية فصار ذلك مذهبا منفردا وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضي أبى بكر الباقلاني والأستاذ أبى إسحاق الأسفرائيني والأستاذ أبى بكر ابن فورك وليس بينهم كثير اختلاف
ونبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له أبو عبد الله محمد بن كرام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضغثا وأثبته في كتابه وروجه على اغتام

غرجة وغور وسواد بلاد خراسان فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبا وقد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج وهم مجسمة وحاش غير محمد بن الهيصم فإنه مقارب

المقدمة الخامسة

في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب وفيها إشارة إلى مناهج الحساب

لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار وكان غرضى من تأليف هذا الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا وقدرت اغراضي على مناهجه تقسيما وتبويبا واردت ان أبين كيفية طرق هذا العلم وكمية اقسامه لئلا يظن بي انى من حيث انا فقيه ومتكلم أجنبي النظر في مسالكه ومراسمه أعجمي القلم بمداركه ومعالمه فاثرت من طرق الحساب احكمها وأحسنها وأقمت عليه من حجج البرهان أوضحها وأمتنها وقدرتها على علم العدد وكان الواضع الأول منه استمداد المدد فأقول مراتب الحساب تبتديء من واحد وتنتهى إلى سبع ولا تجاوزها البتة

المرتبة الأولى صدر الحساب وهو الموضوع الأول الذي يرد عليه التقسيم الأول وهو فرد لا زوج له باعتبار وجملة يقبل التقسيم والتفصيل باعتبار فمن حيث انه فرد فهو لايستدعى أختا تساوية في الصورة والمدة ومن حيث هو جملة فهو قابل للتفصيل حتى ينقسم إلى قسمين وصورة المدة يجب ان تكون من الطرف إلى الطرف ويكتب تحتها حشوا مجملات التفاصيل ومرسلات التقدير والتقرير والنقل والتحويل وكليات وجوه المجموع وحكايات الالحاق والموضوع ويكتب تحتها بارزا من الطرف الأيسر كميات مبالغ المجموع

المرتبة الثانية منها الأصل وشكلها محقق وهو التقسيم الأول الذي ورد على المجموع الأول وهو زوج ليس بفرد ويجب حصره في قسمين لا يعدوان إلى ثالث وصورة المدة يجب ان تكون اقصر من الصدر بقليل إذ الجزء أقل من الكل ويكتب تحتها حشوا ما يخصها من التوجيه والتنويع والتفصيل ولها أخت تساويها في المدة وان لم يجب ان تساويها في المقدار

المرتبة الثالثة من ذلك الأصل وشكله محقق أيضا وهو التقسيم الثاني الذي ورد على الموضوع الأول والثاني وذلك لا يجوز ان ينقص عن قسمين ولا يجوز ان يزيد على أربعة اقسام ومن جاوز من أهل الصنعة فقد أخطأ وما علم وضع الحساب وسنذكر السبب فيه وصورته ومدته اقصر من مدة منها الأصل بقليل وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشوا وبارزا

المرتبة الرابعة منها المطموس وشكلها هكذا ط وذلك يجوز ان يجاوز الأربعة وأحسن الطرق ان يقتصر على الأقل ومدتها اقصر مما مضى

المرتبة الخامسة من ذلك الصغير وشكله هكذا ص وذلك يجوز إلى حيث ينتهى التقسيم والتبويب والمدة اقصر مما مضى

المرتبة السادسة منها المعوج مشكله هكذا وذلك أيضا يجوز إلى حيث ينتهى التفضيل

المرتبة السابعة من ذلك المعقد وشكله هكذا لل وكلن يمد من الطرف إلى الطرف لا على انه صدر الحساب بل من حيث انه النهاية التي تشاكل البداية

فهذه كيفية صورالحساب نقشا وكمية أبوابها جملة ولكل قسم من الأبواب أخت تقابله وزوج يساويه في المدة لا يجوز اغفال ذلك بحال والحساب تاريخ وتوجيه والان نذكر كمية هذه الصورة وانحصار الاقسام في سبع ولم صار العدد الأول فردا لا زوج له في الصورة ولم انحصر منها الأصل في قسمين لا يعدوان إلى ثالث ولم انحصر من ذلك الأصل في أربعة اقسام ولم خرجت الاقسام الاخر عن الحصر

فأقول ان العقلاء الذين تكلموا في علم العدد والحساب اختلفوا في الواحد أهو من العدد أم هومبدأ العدد وليس داخلا في العدد وهذا الاختلاف انما ينشأ من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد فان الاثنين لا معنى لها الا واحد مكرر أول تكرير وكذلك الثلاثة والأربعة ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد اى هو علته ولا يدخل في العدد اى لا يتركب منه العدد وقد تلازم الواحدية جميع الاعداد لا على ان العدد تركب منها بل كل موجود فهو في جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال انسان واحد وشخص واحد وفى العدد كذلك فان الثلاثة في انها ثلاثة واحدة

فالواحدية بالمعنى الأول داخلة في العدد وبالمعنى الثاني علة للعدد وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد وليس من الاقسام الثلاثة قسم يطلق على الباري تعالى معناه فهو واحد لا كالآحاد اى هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة

وأكثر أصحاب العدد على ان الواحد لا يدخل في العدد فالعدد مصدره الأول اثنان وهو ينقسم إلى زوج وفرد فالفرد الأول ثلاثة والزوج الأول أربعة وما وراء الأربعة فهو مكرر كالخمسة فإنها مركبة من عدد وفرد وتسمى العدد الدائر والستة مركبة من فردين وتسمى العدد التام والسبعة مركبة من فرد وزوج وتسمى العدد الكامل والثمانية مركبة من زوجين وهى بداية أخرى وليس ذلك من غرضنا

فصدر الحساب في مقابلة الواحد الذي هو علة العدد وليس يدخل فيه ولذلك هو

فرد لا أخت له ولما كان العدد مصدره من اثنين صار منها المحقق محصورا في قسمين ولما كان العدد منقسما إلى فرد وزوج صار ذلك الأصل محصورا في أربعة فان الفرد الأول ثلاثة والزوج الأول أربعة وهى النهاية وما عداها مركب منها فكان البسائط العامة الكلية في العدد واحد واثنان وثلاثة وأربعة وهى الكمال وما زاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الأبواب الاخر في عدد معلوم بل تتناهى بما ينتهى به الحساب ثم تركيب العدد على المعدود وتقدير البسيط على المركب فمن علم اخر وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة

فإذا نجزت المقدمات على أوفى تقرير وأحسن تحرير شرعنا في ذكر مقالات أهل العالم من لدن ادم عليه السلام إلى يومنا هذا لعله لا يشذ من اقسامها مذهب

ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكرا حتى يعرف لم وضع ذلك اللفظ لذلك الباب ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم أصنافها مذهبا واعتقادا وتحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن أصحابه

ونستوفى اقسام الفرق الاسلامية ثلاثا وسبعين فرقة ونقتصر في اقسام الفرق الخارجة عن الملة الحنيفية على ما هو اشهر واعرف أصلا وقاعدة فنقدم ما هو أولى بالتقديم ونؤخر ما هو أجدر بالتأخير

وشرط الصناعة الحسابية ان يكتب بإزاء المحدود من الخطوط ما يكتب حشوا وشرط الصناعة الكتابية ان تترك الحواشى على الرسم المعهود عفوا فراعيت شرط الصناعتين ومددت الأبواب على شرط الحساب وتركت الحواشى على رسم الكتاب وبالله استعين وعليه أتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل

مذاهب أهل العالم
من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل
من الفرق الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى وممن له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية وممن له حدود وأحكام دون كتاب مثل الفلاسفة الأولى والدهرية وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة نذكر أربابها وأصحابها وننقل ماخذها ومصادرها عن كتب طائفة طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مناهجها والفحص الشديد عن مبادئها وعواقبها
ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفي والاثبات هو قولنا ان أهل العالم انقسموا من حيث المذاهب إلى أهل الديانات والى أهل الأهواء فان الانسان إذا اعتقد عقدا أو قال قولا فاما ان يكون فيه مستفيدا من غيره أو مستبدا برايه فالمستفيد من غيره مسلم مطيع والدين هو الطاعة والمسالم المطيع فهو متدين والمستبد برأيه محدث مبتديء وفى الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام
ما شقى امرؤ عن مشورة ولا سعد باستبداد رأي
وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا قد وجد مذهبا اتفاقيا بان كان أبواه أو معلمه على اعتقاد باطل فيتقلده منه دون ان يتفكر في حقه وباطله وصواب القول فيه وخطأه فحينئذ لا يكون مستفيدا لأنه ما حصل على فائده وعلم ولا اتبع الأستاذ على بصيرة ويقين * (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) * شرط عظيم فليعتبر
وربما يكون المستبد برأيه مستنبطا مما استفاده على شرط ان يعلم موضع الاستنباط وكيفيته فحينئذ لا يكون مستبدا حقيقة لأنه حصل العلم بقوة تلك الفائدة * (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) * ركن عظيم فلا تغفل

فالمستبدون بالرأي مطلقا هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة وهم لا يقولون بشرائع واحكام امريه بل يضعون حدودا عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها والمستفيدون هم القائلون بالنبوات

ومن كان قال بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولا ينعكس

تمهيد

أرباب الديانات والملل من المسلمين وأهل الكتاب وممن له شبهه كتاب

نتكلم ههنا في معنى الدين والملل والشرعة والمنهاج والاسلام والحنيفية والسنة والجماعة فإنها عبارات وردت بالتنزيل ولكل واحدة منها معنى يخصها وحقيقة توافقها لغة واصطلاحا وقد بين معنى الدين انه الطاعة والانقياد وقد قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقد يرد معنى الجزاء يقال

كما تدين تدان

أي كما تفعل تجازى وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعاد والتناد قال تعالى * (ذلك الدين القيم) * فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد قال الله تعالى * (ورضيت لكم الإسلام دينا) *

ولما كان نوع الانسان محتاجا إلى اجتماع مع اخر من بنى جنسه في إقامة معاشه والاستعداد لمعاده وذلك لاجتماع يجب ان يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع هذه على الهيئة هي الملة والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج والشرعة

والسنة والاتفاق على تلك السنة هي الجماعة قال الله تعالى * (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) *
ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة الا بواضع شارع يكون مخصوصا من عند الله بآيات تدل على صدقة وربما تكون الآية مضمنة في نفس الدعوى وقد تكون ملازمة وربما تكون متأخرة
ثم اعلم ان الملة الكبرى هي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وهي الحنيفية التي تقابل الصبوة تقابل التضاد وسنذكر كيفية ذلك ان شاء الله تعالى قال الله تعالى * (ملة أبيكم إبراهيم) *
والشريعة ابتدأت من نوح عليه السلام قال الله تعالى * (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) * والحدود والاحكام ابتدأت من ادم وشيث وإدريس عليهم السلام وختمت الشرائع والملل والمناهج والسنن بأكملها وأتمها حسنا وجمالا بمحمد عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى * (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) *
وقد قيل خص ادم بالأسماء وخص نوح بمعانى تلك الأسماء وخص إبراهيم بالجمع بينهما ثم خص موسى بالتنزيل وخص عيسى بالتأويل وخص المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين بالجمع بينهما على ملة أبيكم إبراهيم
ثم كيفية التقرير الأول والتكميل بالتقرير الثاني بحيث يكون مصدقا كل واحد ما بين يديه من الشرائع الماضية والسنن السالفة تقديرا للامر على الخلق وتوفيقا للدين على الفطرة فمن خاصية النبوة لا يشاركهم فيها غيرهم وقد قيل ان الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على خلقه

الباب الأول
المسلمون
١ قد ذكرنا معنى الاسلام ونفرق ههنا بينه وبين الايمان والاحسان ونبين ماالمبدأ وما الوسط وما الكمال وما الكمال بالخبر المعروف في دعوة جبريل عليه السلام حيث جاء على صورة اعرابي وجلس حتى الصق ركبته بركبة النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ما الاسلام فقال ان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت ثم قال ما الايمان قال عليه الصلاة والسلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ثم قال ما الاحسان قال عليه الصلاة والسلام ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت ثم قال متى الساعة قال عليه الصلاة والسلام ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ثم قام وخرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاءكم يعلمكم امر دينكم
ففرق بالتفسير بين الاسلام والايمان والاسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهرا ويشترك فيه المؤمن والمنافق قال الله تعالى * (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) * ففرق التنزيل بينهما

فإذا كان الاسلام بمعنى التسليم والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك فهو المبدأ ثم إذا كان الاخلاص معه بان يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ويقر عقد بان القدر خيره وشره من الله تعالى بمعنى ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه كان مؤمنا حقا ثم إذا جمع بين الاسلام والتصديق وقرن المجاهدة بالمشاهدة وصار غيبة شهادة فهو الكمال فكان الاسلام مبدأ والايمان وسطا والاحسان كمالا وعلى هذا شمل لفظ المسلمين الناجي والهالك

وقد يرد الاسلام وقرينة الاحسان قال الله تعالى * (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) * وعليه يحمل قوله تعالى * (ورضيت لكم الإسلام دينا) * وقوله * (إن الدين عند الله الإسلام) * وقوله * (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) * وقوله * (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) * وعلى هذا خص الاسلام بالفرق الناجية والله اعلم

٢ أهل الأصول المختلفون في التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل

نتكلم ههنا في معنى الأصول والفروع وسائر الكلمات

قال بعض المتكلمين الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل باياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول ومن المعلوم ان الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة والمعرفة أصل والطاعة فرع فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا فالأصول هو موضوع علم الكلام والفروع هو موضوع علم الفقه وقال بعض

العقلاء كل ما هو معقول ويتوصل اليه بالنظر والاستدلال فهو من الأصول وكل ما هو مظنون ويتوصل اليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع
واما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية ان الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له وواحد في افعاله لا شريك له
وقال أهل العدل ان الله تعالى واحد في ذاته لا قسمة ولا صفة له وواحد في افعاله لا شريك له فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له في افعاله ومحال وجود قديمين ومقدور بين قادرين وذلك هو التوحيد
واما العدل فعلى مذهب أهل السنة ان الله تعالى عدل في افعاله بمعنى انه متصرف في ملكه وملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فالعدل وضع الشيء موضعه وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم والظلم بضده فلا يتصور منه جور في الحكم وظلم في التصرف وعلى مذهب أهل المعتزلة العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة
واما الوعد والوعيد فقد قال أهل السنة الوعد والوعيد كلامه الأزلي وعد على ما امر وأوعد على ما نهى فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده فلا يجب عليه شيء من قضية العقل
وقال أهل العدل لا كلام في الأزل وانما امر ونهى ووعد وأوعد بكلام محدث فمن نجا فبفعله استحق الثواب ومن خسر فبفعله استوجب العقاب والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك
واما السمع والعقل فقد قال أهل السنة الواجبات كلها بالسمع والمعارف كلها بالعقل فالعقل لا يحسن ولا يقبح ولا يقتضى ولا يوجب والسمع لا يعرف اى لا يوجد المعرفة بل يوجب
وقال أهل العدل المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح

فهذه القواعد هي المسائل التي تكلم فيها أهل الأصول وسنذكر مذهب كل طائفة مفصلا ان شاء الله تعالى ولكل علم موضوع ومسائل نذكرهما بأقصى الامكان ان شاء الله تعالى

٣ المعتزلة وغيرهم من الجبرية والصفاتية والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلان تقابل التضاد وكذلك القدرية والجبرية والمرجئة والوعيدية والشيعة والخوارج وهذا التضاد بين كل فريق وفريق كان حاصلا في كل زمان ولكل فرقة مقالة على حيالها وكتب صنفوها ودولة عاونتهم وصولة طاوعتهم

الفصل الأول

المعتزلة

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدليه وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقا عليه لقول النبي عليه الصلاة والسلام

القدرية مجوس هذه الأمة

وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام

القدرية خصماء الله في القدر

والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد

القول بان الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف

لشاركته في الإلهية واتفقوا على ان كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه فان ما وجد في المحل عرض قد فنى في الحال

واتفقوا على ان الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومعامل معانيها كما سيأتي واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار ونفى التشبيه عنه من كل وجه جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وتأثرا وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيدا

واتفقوا على ان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لأنه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عدلا

واتفقوا على ان الله تعالى لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد واما الأصلح واللطف ففي وجوبه عندهم خلاف وسموا هذا النمط عدلا

واتفقوا على ان المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى اخر وراء الثواب وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا

واتفقوا على ان أصول المعرفة وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع والحسن القبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك

وورود التكاليف الطاف للبارى تعالى ارسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام امتحانا واختبارا * (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) *

واختلفوا في الإمامة والقول فيها نصا واختيارا كما سيأتي عند مقالة كل طائفة
والان نذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التي تميزت بها عن أصحابها
١ – الواصلية
أصحاب أبى حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألثغ كان تلميذا للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والاخبار وكانا في أيام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وبالمغرب الان منهم شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسنى الذي خرج بالمغرب في أيام أبى جعفر المنصور
ويقال لهم الواصلية واعتزالهم يدور على اربع قواعد القاعدة الأولى القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود الهين قديمين أزليين قال ومن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت الهين
وانما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه عالما قادرا ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة كما قال الجبائي أو حالان كما قال أبو هاشم
وميل أبى الحسن إلى ردهما إلى صفة واحدة وهى العالمية وذلك عين مذهب الفلاسفة وسنذكر تفصيل ذلك
وكان السلف يخالف في ذلك إذ وجدوا الصفات مذكورة في الكتاب والسنة

القاعدة الثانية القول بالقدر وانما سلكوا في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر مما قرر قاعدة الصفات فقال انن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز ان يضاف اليه شر ولا ظلم ولا يجوز ان يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحتم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى على فعله والرب تعالى أقدر على ذلك كله وافعال العباد محصورة في الحركات والسكنات والاعتمادات والنظر والعلم قال ويستحيل ان يخاطب العبد بافعل وهو لا يمكنه ان يفعل وهو لا يحس من نفسه الاقتدار والفعل ومن أنكره فقد انكر الضرورة واستدل بآيات على هذه الكلمات

ورأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبد الملك بن مروان وقد سأله عن القول بالقدر والجبر فاجابه فيها بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بآيات من الكتاب ودلائل من العقل ولعلها لواصل بن عطاء فما كان الحسن ممن يخالف السلف في ان القدر خيره وشره من الله تعالى فان هذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم والعجب انه حمل هذا اللفظ الوارد في الخبر على البلاء والعافية والشدة والرخاء والمرض والشفاء والموت والحياة إلى غير ذلك من افعال الله تعالى دون الخير والشر والحسن والقبيح الصادرين من اكتساب العباد وكذلك أورده جماعة من المعتزلة في المقالات عن أصحابهم

القاعدة الثالثة القول بالمنزلة بين المنزلتين والسبب فيه انه دخل واحد على الحسن البصري فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا

فتفكر الحسن في ذلك وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء انا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمى هو وأصحابه معتزله

ووجه تقريره انه قال ان الايمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلقا أيضا لان الشهادة وسائر اعمال الخير موجودة فيه لا وجه لانكارها لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالد فيها إذ ليس في الآخرة الا فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار

وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد ان كان موافقا له في القدر وانكارالصفات

القاعدة الرابعة قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين ان أحدهما مخطىء لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه قال ان أحد الفريقين فاسق لا محاله كما ان أحد المتلاعنين فاسق لا محاله لكن بعينه وقد عرفت قوله في الفاسق وأقل درجات الفريقين انه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين فلا يجوز قبول شهادة على وطلحة والزبير على باقة بقل وجوز ان يكون عثمان وعلى على الخطا هذا قوله وهو رئيس المعتزلة ومبدا الطريقة في اعلام الصحابة وأئمة العترة

ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه وزاد عليه في تفسيق أحد الفريقين لا بعينه بان قال لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل على ورجل من عسكره أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار

وكان عمرو بن عبيد من رواة الحديث معروفا بالزهد وواصل مشهورا بالفضل والأدب عندهم ٢

٢ – الهذيلية

أصحاب أبى الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف شيخ العتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها اخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل ابن عطاء ويقال اخذ واصل عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ويقال اخذه عن الحسن بن أبى الحسن البصري وانما انفرد عن أصحابه بعشر قواعد الأولى ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي

بحياة وحياته ذاته وانما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه وانما الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته بل هي ذاته وترجع إلى السلوب أو اللوازم كما سيأتي

والفرق بين قول القائل عالم بذاته لا بعلم وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته ان الأول نفى الصفة والثاني اثبات ذات هو بعينه صفة أو اثبات صفه هي بعينها ذات وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجوها للذات فهي بعينها أقانيم النصارى أو أحوال أبى هاشم

الثانية انه أثبت أرادت لا محل لها يكون الباري تعالى مريدا بها وهو أول من احدث هذه المقالة وتابعه عليها المتأخرون
الثالثة قال في كلام الباري تعالى ان بعضه لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل كالأمر والنهى والخبر والاستخبار وكان امر التكوين عنده غير امر التكليف
الرابعة قوله في القدر مثل ما قاله أصحابه الا انه قدرى الأولى جبري الآخرة فان مذهبه في حركات أهل الخلدين في الآخرة انها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها وكلها مخلوقة للبارى تعالى إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها
الخامسة قوله ان حركات أهل الخلدين تنقطع وانهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة وتجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار وهذا قريب من مذهب جهنم إذ حكم بفناء الجنة والنار وانما التزم أبو الهذيل هذا المذهب لأنه لما الزم في مسألة حدوث العالم ان الحوادث التي لا أول لها كالحوادث

التي لا اخر لها إذ كل واحدة لا تتناهى قال انى لا أقول بحركات لا تتناهى اخرا كما لا أقول بحركات لا تتناهى أولا بل يصيرون إلى سكون دائم وكأنه ظن ان ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون السادسة قوله في الاستطاعة إنها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة وفرق أفعال القلوب وأفعال الجوارح فقال لا يصح وجود أفعال القلوب منه مع عدم القدرة فالاستطاعة معها في حال الفعل وجوز ذلك في أفعال الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الأولى وإن لم يوجد الفعل الا في الحال الثانية قال فحال يفعل غير حال فعل ثم ما تولد من فعل العبد هو فعله غير اللون والطعم والرائحة وكل ما لا يعرف كيفيته وقال في الادراك والعلم الحادثين في غيره عند اسماعه وتعليمه ان الله تعالى يبدعهما فيه وليسا من افعال العباد

السابعة قوله في المكلف قبل ورود السمع انه يجب عليه ان يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وان قصر في المعرفة استوجب العقوبة ابدا ويعلم أيضا حسن الحسن وقبح القبيح فيجب عليه الاقدام على الحسن كالصدق والعدل والاعراض عن القبيح كالكذب والجور وقال أيضا بطاعات لا يراد بها الله تعالى ولا يقصد بها التقرب اليه كالقصد إلى النظر الأول والنظر الأول فإنه لم يعرف الله بعد والفعل عباده وقال في المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما اكره عليه فله ان يكذب ويكون وزره موضوعا عنه

الثامنة قوله في الآجال والأرزاق ان الرجل ان لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يجوز ان يزاد في العمر أو ينقص والأرزاق على وجهين أحدهما ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها يجوز ان يقال خلقها رزقا للعباد فعلى هذا من قال ان أحدا اكل أو انتفع بما لم يخلقه الله رزقا فقد أخطأ لما فيه ان في الأجسام ما لم يخلقه الله تعالى

والثاني ما حكم الله به من هذه الارزاق للعباد فما أحل منها فهو رزقه وما حرم فليس رزقا اى ليس مأمورا بتناوله

التاسعة حكى الكعبي عنه انه قال إرادة الله غير المراد فإرادته لما خلق هي خلقه له وخلقه للشيء عنده غير الشيء بل الخلق عنده قول لا في محل وقال انه تعالى لم يزل سميعا بصيرا بمعنى سيسمع وسيبصر وكذلك لم يزل غفورا رحيما محسنا خالقا رازقا مثيبا معاقبا موماليا معاديا امرا ناهيا بمعنى ان ذلك سيكون منه

العاشرة حكى الكعبي عنه انه قال الحجة لا تقوم فيما غاب الا بخبر عشرين فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله معصومون لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر إذ يجوز ان يكذب جماعة ممن لا يحصون عددا إذا لم يكونوا أولياء الله ولم يكن فيهم واحد معصوم

وصحب ابا الهذيل أبو يعقوب الشحام والادمى وهما على مقالته وكان سنة مائة سنة توفى في أول خلافة المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين

٣ – النظامية

أصحاب إبراهيم بن يسار بن هانىء النظام وقد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة

وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن أصحابه بمسائل الأولى منها انه زاد على القول بالقدر خيره وشره منها قوله ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للبارى تعالى خلافا لأصحابه فإنهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة ومذهب النظام ان القبح إذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الإضافة اليه فعلا ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضا فيجب ان يكون مانعا ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم وزاذ أيضا على هذا الاختباط فقال انما يقدر على فعل ما يعلم ان فيه صلاحا لعباده ولا يقدر على ان يفعل بعباده في الدنيا ما ليس فيه صلاحهم هذا في تعلق قدرته بما يتعلق بأمور الدنيا واما أمور الآخرة فقال لا يوصف لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على ان يزيد في عذاب أهل النار شيئا ولا على ان ينقص منه شيئا وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة ولا ان يخرج أحدا من أهل الجنة وليس ذلك مقدورا له وقد الزم عليه ان يكون الباري تعالى مطبوعا مجبورا على ما يفعله فان القادر على الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك فأجاب ان الذي الزمتونى في القدرة يلزمكم في الفعل فان عندكم يستحيل ان يفعله وان كان مقدورا فلا فرق وانما اخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بان الجواد لا يجوز ان يدخر شيئا لا يفعله فما أبدعه واوجده هو المقدور ولو كان في علمه تعالى ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاما وتركيبا وصلاحا لفعله

الثانية قوله في الإرادة ان الباري تعالى ليس موصوفا بها على الحقيقة فإذا وصف فيها شرعا في افعاله فالمراد بذلك انه خالقها ومنشئها على حسب ما علم وإذا وصف بكونه مريدا لافعال العباد فالمعنى به انه امر بها وناه عنها وعنه اخذ الكعبي مذهبه في الإرادة
الثالثة قوله ان افعال العباد كلها حركات فحسب والسكون حركة اعتماد والعلوم والإرادات حركات النفس ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة وانما الحركة عنده مبدأ تغير ما كما قالت الفلاسفة من اثبات حركات في الكيف والكم والوضع والأين والمتى إلى أخواتها
الرابعة وافقهم أيضا في قولهم ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن التها وقالبها غير انه تقاصر عن ادراك مذهبهم فمال إلى قول الطبيعين منهم ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقلب باجزائه مداخلة المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية في اللبن وقال ان الروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشيئة وهى مستطيعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل
الخامسة حكى الكعبي عنه انه قال ان كل ما جاوز حد القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخلقة اى ان الله تعالى طبع الحجر طبعا وخلقه خلقة إذا دفعته اندفع وإذا بلغت قوة الدفع مبلغها عاد الحجر إلى مكانه طيعا وله في الجواهر واحكامها خبط ومذهب يخالف المتكلمين والفلاسفة
السادسة وافق الفلاسفة في نفى الجزء الذي لا يتجزأ واحدث القول بالطفرة

لما الزم مشى نملة على صخرة من طرف إلى طرف انها قطعت ما لا يتناهى فكيف يقطع ما يتناهى ما لا يتناهى قال تقطع بعضها بالمشي وبعضها بالطفرة ما لا يتناهى وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة وسط البئر طوله خمسون ذراعا وعليه دلو معلق وحبل طوله خمسون ذراعا علق عليه معلاق فيجر به الحبل المتوسط فان الدلو يصل إلى رأس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون ذراعا في زمان واحد وليس ذلك الا ان بعض القطع بالطفرة ولم يعلم ان الطفرة قطع مسافة أيضا موازية لمسافة فالالزام لا يندفع عنه وانما الفرق بين المشي والطفرة يرجع إلى سرعة الزمان وبطئه

السابعة قال ان الجواهر مؤلفة من اعراض اجتمعت ووافق هشام بن الحكم في قوله ان الألوان والطعوم والروائح أجسام فتارة يقضى بكون الأجسام اعراضا وتارة يقضى بكون الاعراض أجساما لا غير

الثامنة من مذهبه ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الان معادن ونباتا وحيوانا وانسانا ولم يتقدم خلق ادم عليه السلام خلق أولاده غير ان الله تعالى أكمن بعضها في بعض فالتقدم والتأخر انما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها وانما اخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة وأكثر ميله ابدا إلى تقرير مذاهب الطبيعين منهم دون الإلهين

التاسعة قوله في اعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الأمور الماضية

والآتية ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا حتى لو خلاهم لكانوا قادر على ان يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما العاشرة قوله في الاجماع انه ليس بحجة في الشرع وكذلك القياس في الاحكام الشرعية لا يجوز ان يكون حجة وانما الحجة في قول الامام المعصوم
الحادية عشرة ميله إلى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة قال أولا لا امامه الا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على على رضى الله عنه في مواضع واظهر اظهارا لم يشتبه على الجماعة الا ان عمر كتم ذلك وهو الذي تولى بيعة أبى بكر يوم السقيفة ونسبه إلى الشك يوم الحديبية في سؤاله الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال السنا على حق أليسوا على الباطل قال نعم قال عمر فلم نعطى الدنية في ديننا قال هذا شك وتردد في الدين ووجدان حرج في النفس مما قضى وحكم وزاد في الفرية فقال ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى القت الجنين من بطنها وكان يصيح احرقوا دارها بمن فيها وما كان في الدار غير على وفاطمة والحسن والحسين وقال تغريبة نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة وابداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج ومصادرته العمال كل ذلك احدث
ثم وقع في أمير المؤمنين عثمان وذكر احداثه من رده الحكم بن أمية إلى المدينة وهو طريد رسول الله عليه الصلاة والسلام ونفيه ابا ذر إلى الربذة وهو صديق رسول الله وتقليده الوليد بن عقبة الكوفة وهو من افسد الناس ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة وتزويجه مروان ابن الحكم ابنته وهم أفسدوا عليه أمره وعبد الله بن مسعود على احضار المصحف وعلى القول الذي شاقه به كل ذلك احداثه
ثم زاد على خزيه ذلك بان عاب عليا وعبد الله بن مسعود لقولهما أقول فيها برأيي وكذب ابن مسعود في روايته السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقى

في بطن أمه وفى روايته انشقاق القمر وفى تشبيهه الجن بالزط وقد انكر الجن رأسا إلى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

الثانية عشرة قوله في المفكر قبل ورود السمع انه إذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من افعال وقال لا بد من خاطرين أحدهما يأمر بالاقدام والاخر بالكف ليصح الاختيار

الثالثة عشر قد تكلم في مسائل الوعد والوعيد وزعم ان من خان في مائة وتسعة وتسعين درهما بالسرقة أو الظلم لم يفسق بذلك حتى تبلغ خيانته نصاب الزكاة وهو مائتا درهم فصاعدا فحينئذ يفسق وكذلك في سائر نصب الزكاة وقال في المعاد ان الفضل على الأطفال كالفضل على البهائم

ووافقه الاسوارى في جميع ما ذهب اليه وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على ما علم انه لا يفعله ولا على ما اخبر انه لا يفعله مع ان الانسان قادر على ذلك لان قدرة العبد صالحة للضدين ومن المعلوم ان أحد الضدين واقع في المعلوم انه سيوجد دون الثاني والخطاب لا ينقطع عن أبى لهب وان اخبر الرب تعالى بأنه سيصلى نارا ذات لهب

ووافقه أبو جعفر الإسكافي وأصحابه من المعتزلة وزاد عليه بأن قال ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء وانما يوصف بالقدرة على ظلم الأطفال والمجانين

وكذلك الجعفران جعفر بن بشر وجعفر بن حرب وافقاه وما زاد عليه الا ان جعفر بن بشر قال في فساق الأمة من هو شر من الزنادقة والمجوس وزعم ان اجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ إذ المعتبر في الحدود النص والتوقيف وزعم ان سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع من الايمان

وكان محمد بن شبيب وأبو شمر وموسى بن عمران من أصحاب النظام الا انهم خالفوه في الوعيد وفى المنزلة بين المنزلتين وقالوا صاحب الكبيرة لا يخرج من الايمان الا بمجرد ارتكاب الكبيرة وكان ابن مبشر يقول في الوعيد ان استحقاق العقاب والخلود في النار بالفكر يعرف قبل ورود السمع وسائر أصحابه يقولون لتخليد لا يعرف الا بالسمع

ومن أصحاب النظام الفضل الحدثى واحمد بن خابط قال الرواندى انهما كانا يزعمان ان للخلق خالقين أحدهما قديم وهو الباري تعالى والثاني محدث وهو المسيح عليه السلام لقوله تعالى * (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) * وكذبة الكعبي في رواية الحدثى خااصة لحسن اعتقاده فيه

٤ – الخابطية والحدثية

الخابطية أصحاب احمد بن خابط وكذلك الحدثية أصحاب الفضل الحدثى كانا من أصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة أيضا وضما إلى مذهب النظام ثلاث بدع البدعة الأولى اثبات حكم من احكام الإلهية في المسيح عليه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم ان المسيح الذي يحاسب الخلق في الآخرة وهو المراد بقوله تعالى * (وجاء ربك والملك صفا صفا) * وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام وهو المعنى بقوله تعالى * (أو يأتي ربك) * وهو المراد بقول النبي عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن وبقوله يضع الجبار قدمه في النار وزعم احمد بن خابط ان المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى

البدعة الثانية القول بالتناسخ زعما ان الله تعالى ابدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار التي هم فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمه ولا يجوز ان يكون أول ما يخلقه الا عاقلا ناظرا معتبرا وابتدأهم بتكليف شكره فأطاعه بعضهم في جميع ما امرهم به وعصاه بعضهم في جميع ذلك

وإطاعة بعضهم في البعض دون البعض فمن اطاعه في الكل أقره في دار النعيم التي ابتدأهم فيها ومن عصاه في الكل اخرجه من تلك الدار إلى دار العذاب وهى النار ومن اطاعه في البعض وعصاه في البعض اخرجه إلي دار الدنيا فالبسه هذه الأجسام الكثيفة وابتلاه بالبأساء والضراء والشدة والرخاء والآلام واللذات على صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم فمن كانت معصيته أقل وطاعته أكثر كانت صورته أحسن وسائر الحيونات والأمة أقل ومن كانت ذنوبه أكثر كانت صورته أقبح والامه أكثر ثم لا يزال يكون الحيوان في الدنيا كرة بعد كرة وصورة بعد أخرى ما دامت معه ذنوبه وطاعته وهذا عين القول بالتناسخ

وكان في زمانها شيخ المعتزلة احمد بن أيوب بن مانوس وهو أيضا من تلامذة النظام وقال أيضا مثلما قال احمد بن خابط بالتناسخ وخلق البلية دفعة واحدة الا انه قال متى صارت التوبة إلى البهيمية ارتفعت التكاليف أيضا وصارت التوبتان عالم الجزاء

ومن مذهبهما ان الديار خمس داران للثواب إحداهما فيها اكل وشراب وبعال وجنات وانهار

والثانية دار فوق هذه الدار ليس فيها اكل ولا شراب ولا بعال بل ملاذ وروحانية وروح وريحان غير جسمانية

والثالثة دار العقاب المحض وعى نار جهنم ليس فيها ترتيب بل هي على نمط التساوي

والرابعة دار الابتداء التي خلق الخلق فيها الخلق قبل ان يهبطوا إلى دار الدنيا وهى الجنة الأولى

والخامسة دار الابتداء وهى التي كلف الخلق فيها بعد ان اجترحوا في الأولى وهذا التكوين والتكرير لا يزال في الدنيا حتى يمتلئ المكيالان مكيال الخير

ومكيال الشر فإذا امتلأ مكيال الخير صار العمل كله طاعة والمطيع غير خالصا فينقل إلى الجنة ولم يلبث طرف عين فان مطل الغنى ظلم وفى الحديث
أعطوا الأجير اجره قبل ان يجف عرقه
وإذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية والعاصي شريرا محضا فينقل إلى النار ولم يلبث طرفة عين وذلك قوله تعالى * (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) *
البدعة الثالثة حملهما كلما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى مثل قوله عليه الصلاة والسلام
انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته
على رؤية العقل الأول الذي هو أول مبدع وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات وإياه عنى النبي عليه الصلاة والسلام بقوله
أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحسن منك بك أعز وبك أذل وبك اعطى وبك امنع
فهو الذي يظهر يوم القيامة وترفع الحجب بينه وبين الصورالتى فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فاما واهب العقل فلا يرى البتة ولا يشبه الا مبدع بمبدع
وقال ابن خابط ان كل نوع من أنواع الحيوانات أمة على حيالها لقوله تعالى * (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) * وفى كل أمة رسول من نوعه لقوله تعالى * (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) *
ولهما طريقة أخرى في التناسخ وكأنهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها ببعض

٥ – البشرية
أصحاب بشر بن المعتمر كان من أفضل علماء المعتزلة وهو الذي احدث القول بالتولد وافرط فيه وانفرد عن أصحابه بمسائل ست الأولى منها انه رغم ان اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والرؤية يجوز ان تحصل متولدة من فعل العبد إذا كانت أسبابها من فعله وانما اخذ هذا من قول الطبيعيين الا انهم لا يفرقون بين المتولد والمباشر بالقدرة وربما لا يثبتون القدرة على منهاج المتكلمين وقوة الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التي يثبتها المتكلم
الثانية قوله ان الاستطاعة هي سلامة البنية وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وقال لا أقول يفعل بها في الحالة الأولى ولا في الحالة الثانية لكني أقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الثانية
الثالثة قوله ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل ذلك كان ظالما إياه الا انه لايستحسن ان يقال ذلك في حقه بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل بالغا عاقلا عاصيا بمعصية ارتكبها مستحقا للعقاب وهذا الكلام متناقض
الرابعة حكى الكعبي عنه انه قال إرادة الله تعالى فعل مان افعاله وهى على وجهين صفه ذات وصفة فعل فاما صفة الذات فهي ان الله تعالى لم يزال مريدا لجميع افعاله ولجميع الطاعات من عباد فإنه حكيم ولا يجوز ان يعلم الحكيم صلاحا وخيرا ولا يريده واما صفة الفعل فان أراد بها فعل نفسه في حال احداثه فهي خلقه له وهى

قبل الخلق لان مايه يكون الشئ لا يجوز ان يكون معه وان أراد بها فعل عباده فهي الامر به

الخامسة قال ان عند الله تعالى لطفا لواتى به لامن جميع من في الأرض ايمانا يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو امنوا من غير وجوده وأكثر منه وليس على الله تعالى ان يفعل ذلك بعباده ولا يجب عليه رعاية الأصلح لأنه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح فما من اصلح الا وفوقه اصلح وانما عليه ان يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة والمفكر قبل ورود السمع يعلم الباري تعالى بالنظر والاستدلال وإذا كان مختارا في فعله فيستغنى عن الخاطرين لأن الخاطرين لا يكونان من قبل الله تعالى وانما هما من قبل الشيطان والمفكر الأول لم يتقدمه شيطان يخطر الشك بباله ولو تقدم فكلامه في الشيطان كالكلام فيه

السادسة قال من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الأولى فإنه قبل توبته بشرط ان لا يعود

٦ – المعمرية

أصحاب معمر بن عباد السلمى وهو من أعظم القدرية فرية في تدقيق القول

بنفي الصفات ونفى القدر خيره وشره من الله تعالى والتكفير والتضليل على ذلك وانفرد عن أصحابه بمسائل منها انه قال ان الله تعالى لم يخلق شيئا غير الأجسام فاما الاعراض فإنها من اختراعات الأجسام اما طبعا كالنار التي تحدث الاحراق والشمس التي تحدث الحرارة والقمر الذي يحدث التلوين واما اختيارا كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومن العجب ان حدوث الجسم وفناءه عنده عرضان فكيف يقول انهما من فعل الأجسام وإذا لم يحدث الباري تعالى عرضا فلم يحدث الجسم فناءه فان الحدوث عرض فيلزمه ان لا يكون لله تعالى فعلا أصلا ثم الزم ان كلام الباري تعالى اما عرض أو جسم فان قال هو عرض فقد أحدثه الباري فان المتكلم على أصله هو من فعل الكلام أو يلزمه ان لا يكون لله تعالى كلام هو العرض وان قال هو جسم فقد أبطل

قوله انه أحدثه في محل فان الجسم لا يقوم بالجسم فإذا لم يقل هو باثبات الصفات الأزلية ولا قال بخلق الاعراض فلا يكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه وإذا لم يكن له كلام لم يكن امرا ناهيا وإذا لم يكن امر ونهى لم تكن شريعة أصلا فادى مذهبه إلى خزى عظيم

ومنها انه قال ان الاعراض لا تتناهى في كل نوع وقال كل عرض قام بمحل فإنما يقوم به لمعنى أوجب القيام وذلك يؤدى إلى التسلسل وعن هذه المسألة سمى هو وأصحابه أصحاب المعاني وزاد على ذلك فقال الحركة انما خالفت السكون لا بذاتها بل بمعنى أوجب المخالفة وكذلك مغايرة المثل ومماثلته وتضاد الضد الضد كل ذلك عنده بمعنى

ومنها ما حكى الكعبي عنه ان الإرادة من الله تعالى للشئ غير الله وغير خلقه للشئ وغير الامر والاخبار والحكم فأشار إلى امر مجهول لا يعرف وقال ليس للانسان فعل سوى الإرادة مباشرة كانت أو توليدا وافعاله التكليفية من القيام والقعود والحركة والسكون والخير والشر كلها مستندة إلى ارادته لا على طريق المباشرة ولا على طريق التوليد وهذا عجب غير انه انما بناه على مذهبه في حقيقة الانسان وعنده الانسان معنى أو جوهر غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متكون ولا متمكن ولا يرى ولا يمس ولا يحس ولا يجس ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان لكنه مدبر للجسد وعلاقته مع البدن علاقة التدبير والتصرف وانما اخذ هذا القول من الفلاسفة حيث قضوا باثبات النفس الانسانية امرا ما هو جوهر قائم بنفسه لا متحيز ولا متمكن واثبتوا من جنس ذلك موجودات عقلية مثل العقول المفارقة ثم لما كان ميل معمر بن عباد إلى مذهب الفلاسفة ميز بين افعال النفس التي سماها انسانا وبين القلب الذي هو جسده فقال فعل النفس هو الإرادة فحسب والنفس انسان

ففعل الانسان هو الارادة وما سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهي من فعل الجسد
ومنها انه يحكى عنه انه كان ينكر القول بان الله تعالى قديم لان قديم اخذ من قدوم يقدم فهو قديم وهو فعل كقولك اخذ منه ما قدم وما حدث وقال أيضا هو يشعر بالتقادم الزماني ووجود الباري تعالى ليس بزمانى
ويحكى عنه أيضا انه قال الخلق غير المخلوق والاحداث غير المحدث وحكى جعفر بن حرب انه قال ان الله تعالى محال ان يعلم نفسه لأنه يؤدى إلى الا يكون العالم والمعلوم واحدا ومحال ان يعلم غيره كما يقال محال ان يقدر على الموجود من حيث هو موجود ولعل هذا النقل فيه خلل فان عاقلا ما لا يتكلم بمثل هذا الكلام الغير معقول لعمري لما كان الرجل يميل إلى الفلاسفة ومن مذهبهم انه ليس علم الباري تعالى علما انفعاليا اى تابعا للمعلوم بل علمه علم فعلى فهو من حيث هو فاعل عالم وعلمه هو الذي أوجب الفعل وانما يتعلق بالموجود حال حدوثه لا محاله ولا يجوز تعلقه بالمعدوم على استمرار عدمه وانه علم وعقل وكونه عقلا وعاقلا ومعقولا شئ واحد فقال ابن عباد لا يقال يعلم نفسه لأنه قد يؤدى إلى تمايز بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره لأنه يؤدى إلى كون علمه من غيره يحصل فاما ان لا يصح النقل واما ان يحمل على مثل هذا المحمل ولسنا من رجال ابن عباد فنطلب لكلامه وجها
٧ – المردارية
أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بابى موسى الملقب بالمردار وقد تلمذ

لبشر بن المعتمر واخذ العلم منه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة وانما انفرد عن أصحابه بمسائل الأولى منها قوله في القدر ان الله تعالى يقدر على ان يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان الها كاذبا ظالما تعالى الله عن قوله والثانية قوله في التولد مثل قول أستاذه وزاد علية بان جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد الثالثة قوله في القران ان الناس قادرون علي مثل القران فصاحه ونظما وبلاغه وهو الذي بالغ في القول بخلق القران وكفر من قال بقدمه بأنه قد أثبت قديمين وكفر أيضا من لابس السلطان وزعم انه لا يرث ولا يورث وكفر أيضا من قال ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى ومن قال انه يرى بالابصار وغلافي التفكير حتى قال هم كافرون في قولهم لا اله الا الله وقد سأله إبراهيم بن السندي مرة عن أهل الأرض جميعا فكفرهم فاقبل عليه إبراهيم وقال الجنة التي عرضها السماوات والأرض لا يدخلها الا أنت وثلاثة وافقوك فخزى ولم يحر جوابا وقد تلمذ له أيضا الجعفران وأبو زفر ومحمد بن سويد وصاحب أبو جعفر

محمد بن عبد الله الإسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب الأشج وحكى الكعبي عن الجعفرين انهما قالا ان الله تعالى خلق القران في اللوح المحفوظ ولا يجوز ان ينقل إذ يستحيل ان يكون الشئ الواحد في مكانين في حالة واحدة وما نقرأه فهو حكاية عن المكتوب الأول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا

قال وهو الذي اختاره من الأقوال المختلفة في القران

وقال في تحسين العقل وتقبيحه ان العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع احكامه وصفاته قبل ورود الشرع وعليه يعلم انه ان قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبة عقوبة دائمة فأثبتنا التخليد واجبا بالعقل

٨ – الثمامية

أصحاب ثمامة بن أشرس النميري كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بان الفاسق يخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة وهو في حال حياته في منزله بين المنزلتين وانفرد عن أصحابه بمسائل

منها قوله ان الافعال المتولدة لا فاعل لها إذا لم يمكنه إضافتها إلى فاعل أسبابها حتى يلزمه أن يضيف الفعل إلى ميت مثل ما إذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ولم يمكنه اضافتها إلى الله تعالى لأنه يؤدى إلى فعل القبيح وذلك محال فتحير فيه وقال المتولدات افعال لا فاعل لها

ومنها قوله في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية انهم يصيرون في القيامة ترابا وكذلك قوله في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين ومنها قوله الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهي قبل الفعل

ومنها قوله ان المعرفة متولدة من النظر وهو فاعل فالع له كسائر المتولدات

ومنها قوله في تحسين العقل وتقبيحه وايجاب المعرفة قبل ورود السمع مثل قول أصحابه غير انه زاد عليهم فقال من الكفار من لا يعلم خالقه وهو معذور وقال ان المعارف كلها ضرورية وان من لم يضطر إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فليس هو مأمورا بها وانما خلق للعبرة والسخرة كسائر الحيوان

ومنها قوله لا فعل للانسان الا الإرادة وما عداها فهو حدث لا محدث له وحكى ابن الراوندي عنه انه قال العالم فعل الله تعالى بطباعه ولعله أراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الايجاب بالذات دون الايجاد على مقتضى الإرادة لكن يلزمه على اعتقاده ذلك ما لزم الفلاسفة من القول بقدم العالم إذا الموجب لا ينفك عن الموجب وكان ثمامة في أيام المأمون وكان عنده بمكان

٩ – الهشامية
أصحاب هشام بن عمرو الفوطي ومبالغته في القدر أشد وأكثر من مبالغة أصحابه وكان يمتنع من اطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى وان ورد بها التنزيل منها قوله ان الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم وقد ورد في التنزيل * (ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) *
ومنها قوله ان الله لا يحبب الايمان إلى المؤمنين ولا يزينه في قلوبهم وقد قال تعالى * (حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) * ومبالغته في نفى إضافات الطبع والختم والسد وأمثالها أشد واصعب وقد ورد بجميعها التنزيل قال الله تعالى * (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) * وقال * (بل طبع الله عليها بكفرهم) * وقال * (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) * وليت شعري ما يعتقده الرجل انكار ألفاظ التنزيل وكونها وحيا من الله تعالى فيكون تصريحا بالكفر أو انكار ظواهرها من نسبتها إلى الباري تعالى ووجوب تأويلها وذلك عين مذهب أصحابه
ومن بدعه في الدلالة على الباري تعالى قوله ان الاعراض لا تدل على كونه خالقا ولا تصلح الاعراض دلالات بل الأجسام تدل على كونه خالقا وهذا أيضا عجب
ومن بدعه في الإمامة قوله انها لا تنعقد في أيام الفتنة واختلاف الناس وانما يجوز عقدها في حال الاتفاق والسلامة وكذلك أبو بكر الأصم من أصحابه كان يقول الإمامة لا تنعقد الا باجماع الأمة عن بكرة أبيهم وانما أراد بذلك الطعن في امامة على رضى الله

عنه إذا كانت البيعة في أيام الفتنة من غير اتفاق من جميع الصحابة إذ بقي في كل طرف طائفة على خلافه
ومن بدعه ان الجنة والنار ليستا مخلوقتين الان إذ لا فائدة في وجودهما وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع ويضرر بهما وبقيت هذه المسألة منه اعتقادا للمعتزلة وكان يقول بالموافاة وان الايمان هو الذي يوافى الموت وقال من أطاع الله جميع عمره وقد علم الله انه يأتي بما يحبط اعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقا للوعد وكذلك على العكس وصاحبه عباد من المعتزلة وكان يمتنع من اطلاق القول بان الله تعالى خلق الكافر لان الكافر كفر وانسان والله تعالى لا يخلق الكفر وقال النبوة جزاء على عمل وانها باقية ما بقيت الدنيا وحكى الأشعري عن عباد انه زعم انه لا يقال ان الله تعالى

لم يزل قائلا ولا غير قائل ووافقه الإسكافي على ذلك قال ولا يسمى متكلما وكان الفوطي يقول ان الأشياء قبل كونها معدومة ليست أشياء وهى بعد ان تعدم عن وجود تسمى أشياء ولهذا المعنى كان يمنع القول بان الله تعالى قد كان لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها فإنها لا تسمى أشياء قال وكان يجوز القتل والغيلة على المخالفين لمذهبه واخذ أموالهم غصبا وسرقة لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم وأموالهم

١٠ – الجاحظية
أصحاب عمرو بن بحر أبى عثمان الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم وقد طالع الكثير من كتب الفلاسفة وخلط وروج كثيرا من مقالاتهم بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة وكان في أيام المعتصم والمتوكل وانفرد عن أصحابه بمسائل منها قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شئ من ذلك من افعال العباد وليس للعبد كسب سوى الإرادة وتحصل افعاله منه طباعا كما قال ثمامة ونقل عنه أيضا انه انكر أصل الإرادة وكونها جنسا من الاعراض فقال إذا انتفى السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو المريد على التحقيق واما الإرادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس اليه وزاد على ذلك باثبات الطبائع للأجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة وأثبت لها افعالا مخصوصة بها وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجواهر لا يجوز ان تفنى
ومنها قوله في أهل النار انهم لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون إلى طبيعة النار وكان يقول النار تجذب أهلها إلى نفسها من غير ان يدخل أحدا فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفى الصفات وفى اثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة وحكى الكعبي عنه انه قال يوصف الباري تعالى بأنه مريد بمعنى انه لا يصح عليه السهو في افعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر
وقال ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى خالقهم وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ثم هم صنفان عالم بالتوحيد وجاهل فيه فالجاهل معذور والعالم محجوج ومن انتحل دين الاسلام فان اعتقد ان الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالابصار وهو عدل لا يجوز ولا يريد المعاصي وبعد

الاعتقاد واليقين أقر بذلك كله فهو مسلم حقا وان عرف ذلك كله ثم جحده وانكره وقال بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقا وان لم ينظر في شئ من ذلك كله واعتقد ان الله تعالى ربه وان محمدا رسول الله فهو مؤمن لالوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك وحكى ابن الراوندي عنه انه قال ان للقرآن جسدا يجوز ان يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا وهذا مثل ما يحكى عن أبى بكر الأصم انه زعم ان القرآن جسم مخلوق وانكر الاعراض أصلا وانكر صفات الباري تعالى ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة الا ان الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعين منهم أكثر منه إلى الإلهيين

١١ – الخياطية والكعبية

أصحاب أبى الحسين بن أبى عمرو الخياط أستاذ أبى القاسم بن محمد

الكعبي وهما من المعتزلة بغداد على مذهب واحد الا ان الخياط غالى في اثبات المعدوم شيئا وقال الشئ ما يعلم ويخبر عنه والجوهر جوهر في العدم والعرض عرض في العدم وكذلك اطلق جميع الأجناس والأصناف حتى قال السواد سواد

في العدم فلم يبقى الا صفة الوجود أو الصفات التي تلزم الوجود والحدوث وأطلق على المعدوم لفظ الثبوت وقال في نفى الصفات عن الباري مثل ما قاله أصحابه وكذا القول في القدر والسمع والعقل وانفرد الكعبي عن أستاذه بمسائل منها قوله ان إرادة الباري تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا ارادته حادثة في محل أولا في محل بل إذا اطلق عليه انه مريد فمعناه انه عالم قادر غير مكره في فعله ولا كاره ثم إذا قيل هو مريد لافعاله فالمراد به انه خالق لها على وفق علمه وإذا قيل هو مريد لافعال عباده فالمراد به انه امر بها راض عنها وقوله في كونه سميعا بصيرا راجع إلى ذلك أيضا فهو سميع بمعنى انه عالم بالمسموعات وبصير بمعنى انه عالم بالمبصرات وقوله في الرؤية كقول أصحابه نفيا وإحالة غير ان أصحابه قالوا يرى الباري تعالى ذاته ويرى المرئيات وكونه مدركا لذلك زائد على كونه عالما وقد انكر الكعبي ذلك قال معنى قولنا يرى ذاته ويرى المرئيات انه عالم بها فقط

١٢ – الجبائية والبهشمية

أصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائي وابنه أبى هاشم

عبد السلام وهما من معتزلة البصرة انفردا عن أصحابهما بمسائل وانفرد أحدهما

عن صاحبه بمسائل اما المسائل التي انفردا بها عن أصحابهما فمنها انهما اثبتا إرادات حادثة لا في محل يكون الباري تعالى بها موصوفا مريدا وتعظي لا في محل إذا أراد ان يعظم ذاته وفناء لا في محل إذا أراد ان يفنى العالم واخص أوصاف هذه الصفات يرجع اليه من حيث انه تعالى أيضا لا في محل واثبات موجودات هي اعراض أو في حكم الاعراض لا محل لها كاثبات موجودات هي جواهر أو في حكم الجواهر لا مكان لها وذلك قريب من مذهب الفلاسفة حيث اثبتوا عقلا هو جوهر لا في محل ولا في مكان وكذلك النفس الكلية والعقول المفارقة

ومنها انهما حكما بكونه تعالى متكلما بكلام يخلقه في محل وحقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة وحروف منظومة والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به

الكلام الا ان الجبائي خالف أصحابه خصوصا بقوله يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارىء كلاما لنفسه في محل القراءة وذلك حين الزم ان الذي يقرؤه القارئ ليس بكلام الله والمسموع منه ليس من كلام الله فالتزم هذا المحال من اثبات امر غير معقول ولا مسموع وهو اثبات كلامين في محل واحد

واتفقا على نفى رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار وعلى القول باثبات الفعل للعبد خلقا وابداعا وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية اليه استقلالا واستبدادا وان الاستطاعة قبل الفعل وهى قدرة زائدة على سلامة البنية وصحة الجوارح واثبتا البنية شرطا في قيام المعاني التي يشترط في ثبوتها الحياة واتفقا على ان المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبح واجبات عقلية واثبتا شريعة عقلية وردا الشريعة النبوية إلى مقدرات الاحكام ومؤقتات الطاعات التي لا يتطرق إليها العقل ولا يهتدى إليها فكر وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي الا ان التأقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع

والايمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير التي إذا اجتمعت في شخص سمى بها مؤمنا ومن ارتكب كبيرة فهو في الحال يسمى فاسقا لا مؤمنا ولا كافر وان لم يتب ومات عليها فهو مخلد في النار

واتفقا على ان الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئا مما علم انه إذا فعل بهم اتوا بالطاعة والتوبة من الصلاح والأصلح واللطف لأنه قادر عالم جواد حكيم لا يضره الاعطاء ولا ينقص من خزائنه المنح ولا يزيد في ملكه الادخار وليس الأصلح هو الالذ بل هو الاعود في العاقبة والأصوب في العاجلة وان كان ذلك مؤلما مكروها وذلك كالحجامة والفصد وشرب الأدوية ولا يقال انه تعالى يقدر على شئ هو اصلح مما فعله بعبده والتكاليف كلها الطاف وبعثة الأنبياء وشرع الشرائع وتمهيد الاحكام والتنبيه على الطريق الأصوب كلها الطاف

ومما تخالفا فيه اما في صفات الباري تعالى فقال الجبائي الباري تعالى عالم لذاته قادر حي لذاته ومعنى قوله لذاته اى لا يقتضى كونه عالما صفة هي علم أو حال توجب كونه عالما وعند أبى هاشم هو عالم لذاته بمعنى انه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتا موجودا وانما تعلم الصفة على الذات لا بانفرادها فاثبت أحوالا هي صفات لا موجودة ولا معدومة ولا معلومة ولا مجهولة اى هي على حيالها لا تعرف كذلك بل مع الذات قال والعقل يدرك فرقا ضروريا بين معرفة الشئ مطلقا وبين معرفته على صفة فليس من عرف الذات عرف كونه عالما ولا من عرف الجوهر عرف كونه متحيزا قابلا للعرض ولا شك ان الانسان يدرك اشتراك الموجودات في قضية وافتراقها في قضية وبالضرورة يعلم ان ما اشتركت فيه غير ما افترقت به وهذه القضايا العقلية لا ينكرها عاقل وهى لا ترجع إلى الذات ولا إلى اعراض وراء الذات فإنه يأدي إلى القيام العرض بالعرض فتعين بالضرورة أنها أحوال فكون العالم حال هي صفة وراء كونه ذاتا أي المفهوم من الذات وكذلك كونه قادرا حيا ثم أثبت الباري تعالى حالة أخرى أوجبت تلك الأحوال وخالفه والده وسائر منكري الأحوال في ذلك وردوا الاشتراك والافتراق إلى ألفاظ وأسماء الأجناس وقالوا أليست الأحوال تشترك في كونها أحوالا وتفترق في خصائص كذلك نقول في الصفات والا فيؤدى إلى اثبات الحال للحال ويفضى إلى التسلسل بل هي راجعة اما إلى مجرد الالفاظ إذا وضعت في الأصل على وجه يشترك فيها الكثير لا ان مفهومها معنى أو صفة ثابتة في الذات على الوجه يشمل أشياء ويشترك فيها الكثير فان ذلك مستحيل أو يرجع ذلك إلى وجوه واعتبارات عقلية هي المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق وتلك الوجوه كالنسب والإضافات والقرب والبعد وغير ذلك مما لا يعد صفات بالاتفاق وهذا هو اختيار أبى الحسين البصري وأبى الحسن الأشعري

ورتبوا على هذه المسألة مسألة ان المعدوم شئ فمن يثبت كونه شيئا كما نقلنا عن جماعة من المعتزلة فلا يبقى من صفات الثبوت الا كونه موجودا فعلى ذلك لا يثبت للقدرة في ايجادها اثرا ما سوى الوجود والوجود على مذهب نفاه الأحوال لا يرجع الا إلى اللفظ المجرد وعلى مذهب مثبتى الأحوال هو حالة لا توصف بالوجود ولا بالعدم وهذا كما ترى من التناقض والاستحالة ومن نفاة الأحوال من يثبته شيئا ولا يسميه بصفات الأجناس وعند الجبائي أخص وصف الباري تعالى هو القدم والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم وليت شعري كيف يمكنه اثبات الاشتراك والافتراق والعموم والخصوص حقيقة وهو من نفاة الأحوال فاما على مذهب أبى هاشم فلعمري هو مطرد غير ان القدم إذا بحث عن حقيقته رجع إلى نفى الأولية والنفي يستحيل ان يكون أخص وصف الباري

واختلفا في كونه سميعا بصيرا فقال الجبائي معنى كونه سميعا بصيرا انه حي لا آفة به وخالفه ابنه وسائر أصحابه اما ابنه فصار إلى كونه سميعا حالة وكونه بصيرا حالة وكونه بصيرا حالة سوى كونه عالما لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلقين والاثرين

وقال غيره من أصحابه معناه كونه مدركا للمبصرات مدركا للمسموعات واختلفا أيضا في بعض مسائل اللطف فقال الجبائي فيمن يعلم الباري تعالى من حالة انه لو امن مع اللطف لكان ثوابه أقل لقلة مشقته ولو امن بلا لطف لكان ثوابه أكثر لكثرة مشقته انه لا يحسن منه ان يكلفه الا مع اللطف ويسوى بينه وبين من المعلوم من حاله انه لا يفعل الطاعة على كل وجه الا مع اللطف ويقول إذ لو كلفه مع عدم اللطف لوجب ان يكون مستفسدا حاله غير مزيح لعلته

ويخالفه أبو هاشم في بعض المواضع في هذه المسألة قال يحسن منه تعالى ان يكلفه

الايمان على أشق الوجهين بلا لطف واختلفا في فعل الألم للعوض فقال الجبائي يجوز ذلك ابتداء لأجل العوض وعليه بنى الام الأطفال وقال ابنه انما يحسن ذلك بشرط العوض والاعتبار جميعا وتفصيل مذهب الجبائي في الاعواض على وجهين أحدهما انه يقول يجوز التفضل بمثل الاعواض غير انه تعالى علم انه لا ينفعه عوض الا على ألم متقدم والوجه الثاني هو انه انما يحسن ذلك لان العوض مستحق والتفضل غير مستحق والثواب عندهم ينفصل عن التفضل بأمرين أحدهما تعظيم واجلال للمثاب يقترن بالنعيم والثاني قدر زائد على التفضل بزيادة مقدار ولابزيادة صفة

وقال ابنه يحسن الابتداء بمثل العوض تفضلا والعوض منقطع غير دائم وقال الجبائي يجوز ان يقع الانتصاف من الله تعالى للمظلوم من الظالم باعواض يتفضل بها عليه إذا لم يكن للظالم على الله عوض لشيء ضره به

وزعم أبو هاشم ان التفضل لا يقع به انتصاف لان التفضل ليس يجب عليه فعله وقال الجبائي وابنه لا يجب على الله شيء لعباده في الدنيا إذا لم يكلفهم عقلا وشرعا فاما إذا كلفهم فعل الواجب في عقولهم واجتناب القبائح وخلق فيهم الشهوة للقبيح والنفور من الحسن وركب فيهم الاخلاق الذميمة فإنه يجب عليه عند هذا التكليف اكمال العقل ونصب الأدلة والقدرة والاستطاعة وتهيئة الآلة بحيث يكون مزيحا لعللهم فيما امرهم ويجب عليه ان يفعل بهم ادعى الأمور إلى فعل ما كلفهم به وازجر الأشياء لهم عن فعل القبيح الذي نهاهم عنه ولهم في مسائل هذا الباب خبط طويل

واما كلام جميع المعتزلة البغداديين في النبوة والإمامة فيخالف كلام البصريين فان من شيوخهم من يميل إلى الروافض ومنهم من يميل إلى الخوارج

والجبائي وأبو هاشم قد وافقا أهل السنة في الإمامة وانها بالاختيار وان الصحابة مترتبون في الفضل ترتيبهم في الإمامة وانها بالاختيار وان الصحابة مترتبون في الفضل ترتيبهم في الإمامة غير انهم ينكرون الكرمات أصلا للأولياء من

الصحابة وغيرهم ويبالغون في عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الذنوب كبائرها وصغائرها حتى منع الجبائي القصد إلى الذنب الا على تأويل والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا طريقة أبي هاشم وخالفه في ذلك أبو الحسين البصري وتصفح أدلة الشيوخ واعترض على ذلك بالتزييف والابطال وانفرد عنهم بمسائل منها نفي الحال ومنها نفي المعدوم شيئا ومنها نفي الألوان اعراضا ومنها قوله ان الموجودات تتمايز بأعيانها وذلك من توابع نفي الحال ومنها رده الصفات كلها إلى كون الباري تعالى عالما قادرا مدركا وله ميل إلى مذهب هشام بن الحكم في ان الأشياء لاتعلم قبل كونها والرجل فلسفي المذهب الا انه روج كلامه على المعتزلة في معرض الكلام فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذهب

الفصل الثاني

الجبرية

الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة هي التي تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا فاما من أثبت للقدرة الحادثة اثرا ما في الفعل وسمي ذلك كسبا فليس بجبري

والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة اثرا في الابداع والاحداث استقلالا جبريا ويلزمهم ان يسموا من قال من أصحابهم بان المتولدات افعالا لافاعل لها جبريا

إذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها اثرا والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية والأشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية ونحن سمعنا اقرارهم على أصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع اقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية

١ – الجهمية

أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في اخر ملك بني أمية وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء

منها قوله لا يجوز ان يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقضي تشبيها فنفى كونه حيا عالما وأثبت كونه قادرا فاعلا خالقا لأنه لايوص شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق

ومنها اثباته علوما حادثة للباري تعالى لافي محل قال لا يجوز ان يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق أفبقي علمه على ما كان أم لم يبق فإن بقي فهو جهل فإن العلم بأن قد وجد وإهن لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق ليس بقديم ووافق في هذا المذهب هشام بن الحكم كما تقرر قال وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو اما ان يحدث في ذاته تعالى وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته وان يكون محلا للحوادث واما ان يحدث في محل فيكون المحل موصوفا به لا الباري تعالى فتعين انه لا محل له فاثبت علوما حادثة بعدد الموجودات المعلومة

ومنها قوله في القدرة الحادثة ان الانسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور في افعاله لاقدرة له ولاارادة ولااختيار وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنسب اليه الافعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيمت السماء وامطرت واهتزت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما ان الافعال كلها جبر قال وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبرا

ومنها قوله ان حركات أهل الخلدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول اهلهما فيهما وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بجحيمها إذ لا تتصور حركات لاتناهي اخرا كما لا تتصور حركات لاتتناهى أولا وحمل قوله تعالى * (خالدين فيها) * على

المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان واستشهد على الانقطاع بقوله * (خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك) * فالآية اشتملت على شريطة واستثناء والخلود والتأييد لاشرط فيه ولا استثناء

ومنها قوله من اتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لان العلم والمعرفة لايزولان بالجحد فهو مؤمن قال والايمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل قال ولايتفاضل أهله فيه فايمان الأنبياء وايمان الأمة على نمط واحد إذ المعارف لاتتفاضل وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه ونسبته إلى التعطيل المحض وهو أيضا موافق للمعتزلة في نفي الرؤية واثبات خلق الكلام وايجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع

٢ – النجارية

أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الري وما حواليها على مذهبه وهم وان اختلفوا أصنافا الا انهم لم يختلفوا في المسائل التي ٢ عددناها أصولا وهم برغوثية

وزعفرانية ومستدركة ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ووافقوا الصفاتية في خلق الاعمال
قال النجار الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فالزم عموم التعلق فالتزم وقال هو مريد الخير والشر والنفع والضر وقال أيضا معنى كونه مريدا انه غير مستكره ولامغلوب وقال هو خالق اعمال العباد خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد مكتسبا لها وأثبت تأثيرا للقدرة الحادثة وسمى ذلك كسبا على حسب ما يثبته الأشعري ووافقه أيضا في انه الاستطاعة مع الفعل واما في مسألة الرؤية فأنكر رؤية الله تعالى بالابصار واحالها غير انه قال يجوز ان يحول الله تعالى القوة التي في القلب من المعرفة إلى العين فيعرف الله تعالى بها فيكون ذلك رؤية وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة بأشياء منها
قوله ان كلام الباري تعالى إذا قرىء فهو عرض وإذا كتب فهو جسم ومن العجب ان الزعفرانية قالت ان كلام الله غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق ومع ذلك قالت كل من قال ان القران مخلوق فهو كافر ولعلهم أرادوا بذلك الاختلاف والا فالتناقض ظاهر والمستدركة منهم زعموا ان كلامه غيره وهو مخلوق لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال كلام الله غير مخلوق والسلف عن اخرهم اجمعوا على هذه

العبارة فوافقناهم وحملنا قولهم غير مخلوق أي على هذا الترتيب والنظم من الحروف والأصوات بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها وهذه حكاية عنها وحكى الكعبي عن النجار انه قال الباري تعالى بكل مكان ذاتا ووجودا لا معنى العلم والقدرة وألزمه محالات على ذلك

وقال في المفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة انه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال

وقال في الايمان انه عبارة عن التصديق ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك ويجب ان يخرج من النار فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار في الخلود

ومحمد بن عيسى الملقب ببرغوث وبشر بن غياث المريسي والحسن النجار متقاربون في المذهب وكلهم اثبتوا كونه تعالى مريدا لم يزل لكل ما علم انه سيحدث من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وعامة المعتزلة يابون ذلك

٣ – الضرارية

أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفقا في التعطيل وعلى انهما قالا الباري تعالى عالم قادر على معنى انه ليس بجاهل ولاعاجز واثبتا لله سبحانه ماهية لا يعلمها الا

هو وقالا ان هذه المقالة محكية عن أبي حنيفة رحمه الله وجماعة من أصحابه وأراد بذلك انه يعلم نفسه شهادة لابدليل ولاخبر ونحن نعلمه بدليل وخبر واثبتا حاسة سادسة للانسان يرى بها الباري تعالى يوم الثواب في الجنة وقال افعال العباد مخلوقة للباري تعالى حقيقة والعبد مكتسبها حقيقة وجواز حصول فعل بين فاعلين وقالا يجوز ان يقلب الله تعالى الاعراض أجساما والاستطاعة والعجز بعض الجسم وهو جسم ولا محالة بنفي زمانين وقالا الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاجماع فقط فما ينقل عنه في احكام الدين من طريق اخبار الآحاد فغير مقبول ويحكى عن ضرار انه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبي بن كعب ويقطع بان الله تعالى لم ينزله

وقال في المفكر قبل ورود السمع انه لا يجب عليه بعقله شيء حتى يأتيه الرسول فيأمره وينهاه ولا يجب على الله تعالى شيء بحكم العقل وزعم ضرار أيضا ان الإمامة تصلح في غير قريش حتى إذا اجتمع قرشي ونبطي قدمنا النبطي إذ هو أقل عددا واضعف وسيلة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة

والمعتزلة وان جوزوا الإمامة في غير قريش الا انهم لا يجوزون تقديم النبطي على القرشي

الفصل الثالث
الصفاتية
اعلم ان جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك الا انهم يقولون هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطله
فبالغ بعض السلف في اثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات واقتصر بعضهم على صفات دلت الافعال عليها وما ورد به الخبر فافترقوا فرقتين
فمنهم من أوله على وجه يحتمل اللفظ ذلك
ومنهم من توقف في التأويل وقال عرفنا بمقتضى العقل ان الله تعالى ليس كمثله شيء فلا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبه شيء منها وقطعنا بذلك الا انا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى * (الرحمن على العرش استوى) * ومثل قوله * (خلقت بيدي) * ومثل قوله * (وجاء ربك) * إلى غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له وليس كمثله شيء وذلك قد أثبتناه يقينا

ثم ان جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها فوقعوا في التشبيه الصرف وذلك على خلاف ما اعتقده السلف ولقد كان التشبيه صرفا خالصا في اليهود لافي كلهم بل في القرائين منهم إذ وجدوا في التوراة الفاظا كثيرة تدل على ذلك

ثم الشيعة في هذه الشريعة وقعوا في غلو وتقصير اما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالاله تعالى وتقدس واما التقصير فتشبيه الاله بواحد من الخلق ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ووقعت في الاعتزال وتخطت جماعة من السلف إلى التفسير الظاهر فوقعت في التشبيه

واما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولاتهدفوا للتشبيه فمنهم مالك بن انس رضي الله عنهما إذ قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومثل احمد بن حنبل رحمه الله وسفيان الثوري وداود بن علي الاصفهاني ومن تابعهم حتى انتهى الزمان إلى عبد الله بن سعيد الكلابي وأبي العباس القلانسي والحارث بن أسعد المحاسبي وهؤلاء كانوا من جملة السلف الا انهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية وصنف بعضهم ودرس بعض حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه مناظرة في مسالة من مسائل الصلاح والأصلح فتخاصما وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة فايد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتي الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية

١ – الأشعرية
أصحاب أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات ان ابا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو اين أجد أحدا احاكم اليه ربي فقال أبو موسى انا ذلك المتحاكم اليه فقال عمرو أو يقدر علي شيء ثم يعذبني عليه قال نعم قال عمرو ولم قال لأنه لايظلمك فسكت عمرو ولم يحر جوابا
قال الأشعري الانسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ وكيف دار في أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة وعرف يقينا انه بذاته لم يكن ليدبر خلقته وينقله من درجة إلى درجة ويرقيه من نقص إلى كمال علم بالضرورة ان له صانعا قادرا عالما مريدا إذ لا يتصور حدوث هذه الافعال المحكمة من طبع لظهور اثار الاختيار في الفطرة وتبين اثار الاحكام والاتقان في الخلقة فله صفات دلت افعاله عليها لا يمكن جحدها وكما دلت الافعال على كونه عالما قادرا مريدا دلت على العلم والقدرة والإرادة لان وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا وأيضا لا معنى للعالم حقيقة الا انه ذو علم ولا للقادر الا انه ذو قدرة ولا للمريد الا انه ذو إرادة فيحصل بالعلم الاحكام والاتقان ويحصل بالقدرة والوقوع والحدوث ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل وهذه الصفات لن يتصور ان يوصف بها الذات الا وان يكون الذات حيا بحياة للدليل الذي ذكرناه
والزم منكري الصفات الزاما لامحيص لهم عنه وهو انكم وافقتمونا بقيام الدليل على

كونه عالما قادرا فلا يخلو اما ان يكون المفهومان من الصفتين واحدا اوزائدا فان كان واحدا فيجب ان يعلم بقادريته ويقدر بعالميته ويكون من علم الذات مطلقا علم كونه عالما قادرا وليس الامر كذلك فعلم ان الاعتبارين مختلفان فلا يخلو اما ان يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ أو إلى الحال أو إلى الصفة وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد فان العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين ولو قدر عدم الالفاظ رأسا ما ارتاب العقل فيما تصوره وبطل رجوعه إلى الحال فان اثبات صفة لا توصف بالوجود ولابالعدم اثبات واسطة بين الوجود والعدم والاثبات والنفي وذلك محال فتعين الرجوع إلى صفة قائمة بالذات وذلك مذهبه

على ان القاضي الباقلاني من أصحاب الأشعري قد ردد قوله في اثبات الحال ونفيها وتقرر رايه على الاثبات ومع ذلك أثبت الصفات معاني قائمة به لااحوالا وقال الحال الذي اثبته أبو هاشم هو الذي نسميه صفة خصوصا إذا أثبت حالة أوجبت تلك الصفات

قال أبو الحسن الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع يسمع بصير يبصر وله في البقاء اختلاف رأي

قال وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لاهو ولا لاغيره والدليل على انه متكلم بكلام قديم ومريد بإرادة قديمة انه قد قام الدليل على انه تعالى ملك والملك من له الامر والنهي فهو امر ناه فلا يخلو اما ان يكون امرا بأمر قديم أو بأمر محدث وان كان محدثا فلا يخلو اما ان يحدثه في ذاته أو في محل أو لا في محل ويستحيل ان يحدثه في ذاته لأنه يؤدي إلى ان يكون محلا للحوادث وذلك محال ويستحيل ان يحدثه في محل لأنه يوجب ان يكون المحل به موصوفا ويستحيل ان يحدثه لا في محل لان ذلك غير معقول فتعين انه قديم قائم به صفة له وكذلك التقسيم في الإرادة والسمع والبصر

قال وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصلح وجوده من الجائزات وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات في كلامه لا إلى عدد في نفس الكلام والعبارات والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأزلي والدلالة مخلوقة محدثة والدلول قديم أزلي والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر محدث والمذكور قديم
وخالف الأشعري بهذا التدقيق جماعة من الحشوية إذ انهم قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة والكلام عند الأشعري معنى قائم بالنفس سوى العبارة والعبارة دلالة عليه من الانسان فالمتكلم عنده من قام به الكلام وعند المعتزلة من فعل الكلام غير ان العبارة تسمى كلاما اما بالمجاز واما باشتراط اللفظ
قال وارادته واحدة قديمة أزلية متعلقة بجميع المرادات من افعاله الخاصة وافعال عباده من حيث انها مخلوقة له لا من حيث انها مكتسبة لهم فعن هذا قال أراد الجميع خيرها وشرها ونفعها وضرها وكما أراد وعلم أراد من العباد ما علم وامر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لا يتغير ولا يتبدل وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع
وتكليف مالايطاق جائز على مذهبه للعلة التي ذكرناها ولان الاستطاعة عنده عرض والعرض لا يبقي زمانين ففي حال التكليف لا يكون المكلف من يقدر على احداث ما امر به فاما ان يجوز ذلك في حق من لاقدرة له أصلا على الفعل فمحال وان وجد ذلك منصوصا عليه في كتابه
قال والعبد قادر على افعاله إذ الانسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات

الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والإرادة والتفرقة راجعة إلى ان الحركات الاختيارية حاصلة تحت القدرة متوقفة على اختيار القادر فعن هذا قال المكتسب هو المقدور بالقدرة الحاصلة والحاصل تحت القدرة الحادثة

ثم على أصل أبي الحسين لا تأثير للقدرة الحادثة في الاحداث لان جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض فلو اثرت في قضية الحدوث لاثرت في حدوث كل محدث حتى تصلح لاحداث الألوان والطعوم والروائح وتصلح لاحداث الجواهر والأجسام فيؤدي إلى تجويز وقوع السماء على الأرض بالقدرة الحادثة غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل إذا اراده العبد وتجرد له ويسمى هذا الفعل كسبا فيكون خلقا من الله تعالى ابداعا واحداثا وكسبا من العبد حصولا تحت قدرته

والقاضي أبو بكر الباقلاني تخطى عن هذا القدر قليلا فقال الدليل قد قام على ان القدرة الحادثة لا تصلح للايجاد لكن ليست تقتصر صفات الفعل أو وجوهه واعتباراته على جهة الحدوث فقط بل ههنا وجوه اخر هن وراء الحدوث من كون الجوهر جوهرا متحيزا قابلا للعرض ومن كون العرض عرضا ولونا وسوادا وغير ذلك وهذه أحوال عند مثبتي الأحوال قال فجهة كون الفعل حاصلا بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة ويسمى ذلك كسبا وذلك هو اثر القدرة الحادثة

قال وإذا جاز على أصل المعتزلة ان يكون تأثير القدرة أو القادرية القديمة في حال هو الحدوث والوجود أو في وجه من وجوه الفعل فلم يجوز ان يكون تأثير القدرة الحادثة في حال هو صفة للحادث أو في وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركة مثلا على هيئة مخصوصة وذلك ان المفعوم من الحركة مطلقا ومن العرض مطلقا غير المفهوم من القيام والقعود وهما حالتان متمايزتان فان كل قيام حركة وليس كل حركة قياما

ومن المعلوم ان الانسان يفرق فرقا ضروريا بين قولنا أوجد وبين قولنا صلى وصام وقعد وقام وكما لا يجوز ان يضاف إلى الباري تعالى جهة ما يضاف إلى العبد فكذلك لا يجوز ان يضاف إلى العبد جهة ما يضاف إلى الباري تعالى

فاثبت القاضي تأثيرا للقدرة الحادثة واثرهاهي الحالة الخاصة وهي جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل وتلك الجهة هي المتعينة لان تكون مقابلة بالثواب والعقاب فان الوجود من حيث هو وجود لا يستحق عليه ثواب وعقاب خصوصا على أصل المعتزلة فان جهة الحسن والقبح هي التي تقابل بالجزاء والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث هو موجود ليس بحسن ولا قبيح

قال فإذا جاز لكم اثبات صفتين هما حالتان جاز لي اثبات حالة هي متعلق القدرة الحادثة ومن قال هي حالة مجهولة فبينا بقدر الامكان جهتها وعرفناها أيش هي ومثلناها كيف هي

ثم ان امام الحرمين ابا المعالي الجويني تخطى عن هذا البيان قليلا قال اما نفى هذه القدرة والاستطاعة فمما يأباه العقل والحس واما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه فهو كنفي القدرة أصلا واما اثبات تأثير في حالة لا يفعل فهو كنفي التأثير خصوصا والأحوال على أصلهم لا توصف بالوجود والعدم فلا بد اذن من نسبة فعل العبد إلى قدرته حقيقة لاعلى

وجه الاحداث والخلق فان الخلق يشعر باستقلال ايجاده من العدم والانسان كما يحس من نفسه الاقتدار يحس من نفسه أيضا عدم الاستقلال فالفعل يستند وجوده إلى القدرة ولقدرة يستند وجودها إلى سبب اخر تكون نسبة القدرة إلى ذلك السبب كنسبة الفعل إلى القدرة وكذلك يستند سبب إلى سبب اخر حتى ينتهي إلى مسبب الأسباب فهو الخالق للأسباب ومسبباتها المستغني على الاطلاق فان كل سبب مهما استغنى من وجه محتاج من وجه والباري تعالى هو الغني المطلق الذي لا حاجة له ولا فقر

وهذا الرأي انما اخذه من الحكماء الإلهيين وابرزه في معرض الكلام وليس يختص نسبة السبب إلى المسبب على أصله بالفعل والقدرة بل كل ما يوجد من الحوادث فذلك حكمة وحينئذ يلزم القول بالطبع وتأثير الأجسام في الأجسام ايجادا وتأثير الطبائع في الطبائع احداثا وليس ذلك مذهب الاسلاميين كيف ورأى المحققين من الحكماء ان الجسم لا يؤثر في ايجاد الجسم قالوا الجسم لا يجوز ان يصدر عن جسم ولاعن قوة ما في جسم فان الجسم مركب من مادة وصورة فلو اثر لأثر بجهتيه اعني بمادته وصورته والمادة لها طبيعة عدمية فلو اثرت لاثرت بمشاركة العدم والتالي محال فالمقدم اذن محال فنقيضه حق وهو ان الجسم وقوة ما في الجسم لا يجوز ان يؤثر في جسم

وتخطى من هو أشد تحققا واغوص تفكرا عن الجسم وقوة ما في الجسم إلى كل ما هو جائز بذاته فقال كل ما هو جائز بذاته لا يجوز ان يحدث شيئا ما فإنه لو أحدث لأحدث بمشاركة الجواز والجواز له طبيعة عدمية فلو خلى الجائز وذاته كان عدما فلو اثر الجواز بمشاركة العدم لأدى إلى ان يؤثر العدم في الوجود وذلك محال فاذن لاموجد على الحقيقة الا واجب الوجود لذاته وما سواه من الأسباب معدات لقبول الوجود لامحدثات لحقيقة الوجود ولهذا شرح سنذكره

ومن العجب ان ماخذ كلام الامام أبي المعالي إذا كان بهذه المثابة فكيف يمكن إضافة الفعل إلى الأسباب حقيقة

هذا ونعود إلى كلام صاحب المقالة قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إذا كان الخالق على الحقيقة هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيره فاخص وصفه تعالى هو القدرة على الاختراع قال وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله

وقال الأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني أخص وصفه هو كون يوجب تمييزه عن الأكوان كلها

وقال بعضهم نعلم يقينا ان ما من موجود الا ويتميز عن غيره بأمر ما والا فيقتضي ان تكون الموجودات كلها مشتركة متساوية والباري تعالى موجود فيجب ان يتميز عن سائر الموجودات بأخص وصف الا ان العقل لا ينتهي إلى معرفة ذلك الأخص ولم يرد به سمع فنتوقف

ثم هل يجوز ان يدركه العقل ففيه خلاف أيضا وهذا قريب من مذهب ضرار غير ان ضرارا اطلق لفظ الماهية عليه تعالى وهو من حيث العبارة منكر

ومن مذهب الأشعري ان كل موجود يصح ان يرى فان المصحح للرؤية انما هو الوجود والباري تعالى موجود فيصح ان يرى وقد ورد السمع بان المؤمنين يرونه في الآخرة قال الله تعالى * (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) * إلى غير ذلك من الآيات والاخبار قال ولا يجوز ان تتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع أو على سبيل انطباع فان كل ذلك مستحيل

وله قولان في ماهية الرؤية

أحدهما انه علم مخصوص ويعني بالخصوص انه يتعلق بالوجود دون العدم

والثاني انه ادراك وراء العلم لا يقتضي تأثيرا في المدرك ولاتاثرا عنه

وأثبت ان السمع والبصر للباري تعالى صفتان ازليتان هما ادراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط الوجود وأثبت اليدين والوجه صفات خبرية فيقول ورد بذلك السمع فيجب الاقرار به كما ورد وصغوه إلى طريقة السلف من ترك التعرض للتأويل وله قول أيضا في جواز التأويل

ومذهبه في الوعد والوعيد والأسماء والاحكام والسمع والعقل مخالف للمعتزلة من كل وجه

قال الايمان هو التصديق بالجنان واما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح ايمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا ولا يخرج من الايمان الا بانكار شيء من ذلك

وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه إلى الله تعالى اما ان يغفر له برحمته واما ان يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال شفاعتي لأهل لكبائر من أمتي واما ان يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز ان يخلد في النار مع الكفار لما ورد به السمع بالاخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان قال ولو تاب فلا أقول بأنه يجب على الله تعالى قبول توبته بحكم العقل إذ هو الموجب فلا يجب عليه شيء بلى ورد السمع بقبول توبة التائبين وإجابة دعوة المضطرين وهو المالك في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلو ادخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جورا إذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف أو وضع الشيء في غير موضعه وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور

قال والواجبات كلها سمعية والعقل لا يوجب شيئا ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيحا فمعرفة الله تعالى بالعقل تحصل وبالسمع تجب قال الله تعالى * (وما كنا معذبين حتى

نبعث رسولا) * وكذلك شكر المنعم واثابه المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل ولا يجب على الله تعالى شيء ما بالعقل لا الصلاح ولا الأصلح ولا اللطف وكل ما يقتضيه العقل من جهة الحكمة الموجبة فيقتضي نقيضه من وجه آخر

واصل التكليف لم يكن واجبا على الله إذ لم يرجع اليه نفع ولا اندفع به عنه ضر وهو قادر على مجازاة العبيد ثوابا وعقابا وقادر على الافضال عليهم ابتداء تكرما وتفضلا والثواب والنعيم واللطف كله منه فضل والعقاب والعذاب كله عدل * (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) *

وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ولكن بعد الانبعاث تاييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات إذ لابد من طريق للمستمع يسلكه ليعرف به صدق المدعي ولابد من إزاحة العدل فلايقع في التكليف تناقض

والمعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم عن المعارضة يتنزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة وهو منقسم إلى خرق المعتاد والى اثبات غير المعتاد والكرامات للأولياء حق وهي من وجه تصديق للأنبياء وتأكيد للمعجزات

والايمان والطاعة بتوفيق الله والكفر والمعصية يخذلانه والتوفيق عنده خلق القدرة على الطاعة والخذلان عنده خلق القدرة على المعصية وعند بعض أصحابه تيسير أسباب الخير هو التوفيق ويضره الخذلان وما ورد به السمع من الاخبار عن الأمور الغائبة مثل القلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار فيجب اجراؤها على ظاهرها والايمان بها كما جاءت إذ لااستحالة في اثباتها وما ورد من الاخبار عن الأمور المستقبلة في الآخرة مثل سؤال القبر وبثواب والعقاب فيه ومثل الميزان والحساب

والصراط وانقسام الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير حق يجب الاعتراف بها واجراؤها على ظاهرها إذ لا استحالة في وجودها
والقران عنده معجزة من حيث البلاغة والنظم والفصاحة إذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة ومن أصحابه من اعتقد ان الاعجاز في القران من جهة صرف الدواعي وهو المنع من المعارضة ومن جهة الاخبار عن الغيب
وقال الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين إذ لو كان ثم نص لما خفي والدواعي تتوفر على نقله واتفقوا في سقيفة بني ساعدة على أبي بكر رضي الله عنه ثم اتفقوا بعد تعيين أبي بكر على عمر رضي الله عنه واتفقوا بعد الشورى على عثمان رضي الله عنه واتفقوا بعده على علي رضي الله عنه وهم مترتبون في الفضل ترتبهم في الإمامة
وقال لا نقول في عائشة وطلحة والزبير الا انهم رجعوا عن الخطأ وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ولا نقول في حق معاوية وعمرو بن العاص الا انهما بغيا على الامام الحق فقاتلهم على مقاتلة أهل البغي واما أهل النهروان فهم الشراة المارقون عن الدين بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كان رضي الله عنه على الحق في جميع أحواله يدور الحق معه حيث دار
٢ – المشبهة
اعلم ان السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ونصرهم جماعة من امراء بني أمية على قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلق القران تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في متشابهات آيات الكتاب الحكيم واخبار النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

فاما احمد بن حنبل وداود بن علي الاصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل مالك بن انس ومقاتل ابن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولانتعرض للتأويل بعد ان نعلم قطعا ان الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات وان كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره وكانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية ان قالوا من حرك يده عند قراءة قوله تعالى * (خلقت بيدي) * أو أشار بإصبعيه عند روايته قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وجب قطع يده وقلع إصبعيه وقالوا انما توقفنا عن تفسير الآيات وتأويلها لامرين

أحدهما المنع الوارد في التنزيل في قوله تعالى * (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب) * فنحن نحترز عن الزيغ

والثاني ان التأويل امر مظنون بالاتفاق والقول في صفات الباري بالظن غير جائز فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ بل نقول كما قال الراسخون في العلم * (كل من عند ربنا) * امنا بظاهره وصدقنا بباطنه ووكلنا علمه إلى الله تعالى ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك إذ ليس ذلك من شرائط الايمان وأركانه واحتاط

بعضهم أكثر احتياطا حتى لم يقرا اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك بل ان احتاج في ذكره إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه في شيء

غير أن جماعة من الشيعة الغالية وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل الهشاميين من الشيعة ومثل مضر وكهمس واحمد الهجيمي وغيرهم من الحشوية قالوا معبودهم على صورة ذات أعضاء وابعاض اما روحانية وأما جسمانية ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن

واما مشبهة الشيعة فستاتي مقالاتهم في باب الغلاة

واما مشبهة الحشوية فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى انه حكى عن مضر وكهمس واحمد الهجيمي انهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وان المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الاخلاص والاتحاد المحض وحكى الكعبي عن بعضهم انه كان يجوز الرؤية في دار الدنيا وان يزوره ويزورهم وحكى عن داود الجواربي انه قال اعفوني عن الفرج واللحية واسالوني عما وراء ذلك وقال ان معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبه شيء وحكى عنه انه قال هو أجوف من أعلاه إلى صدره مصمت ما سوى ذلك وان له وفرة سوداء وله شعر قطط

واما ما ورد في التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجيء والاتيان والفوقية وغير ذلك فاجروها على ظاهرها اعني ما يفهم عند الاطلاق على الأجسام وكذلك ما ورد في الاخبار من الصورة وغيرها في قوله عليه الصلاة والسلام خلق ادم على

صورة الرحمن وقوله حتى يضع الجبار قدمه في النار وقوله قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن وقوله خمر طينة ادم بيده أربعين صباحا وقوله وضع يده أو كفه على كتفي وقوله حتى وجدت برد أنامله على كتفي إلى غير ذلك اجروها على ما يتعارف في صفات الأجسام

وزادوا في الاخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأكثرها مقتبسة من اليهود فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وان العرش لتئط من تحته كأطيط الرحل الحديد وانه ليفضل من كل جانب اربع أصابع

وروى المشبه عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال لقيني ربي فصافحني وكافحني ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله

وزادوا على التشبيه قولهم في القران ان الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية وقالوا لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم واستدلوا باخبار منها ما رووا عن النبي عليه الصلاة والسلام ينادي الله تعالى يوم القيامة بصوت يسمعه الأولون والآخرون ورووا ان موسى عليه السلام كان يسمع كلام الله كجر السلاسل قالوا وأجمعت السلف على ان القران كلام الله غير مخلوق ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله ولا نعرف من القرآن الا ما هو بين أظهرنا فنبصره ونسمعه ونقرؤه ونكتبه

والمخالفون في ذلك

واما المعتزلة فوافقونا على ان هذا الذي في أيدينا كلام الله وخالفونا في القدم وهم محجوجون بإجماع الأمة وأما الأشعرية فوافقونا على أن القرآن قديم وخالفونا في أن الذي في أيدينا كلام الله وهم محجوجون أيضا باجماع الأمة ان المشار اليه هو كلام الله فاما اثبات كلام هو صفة قائمة بذات الباري تعالى لا نبصرها ولا نكتبها ولا نقرؤها ولا نسمعها فهو مخالفة الاجماع من كل وجه

فنحن نعتقد ان ما بين الدفتين كلام الله انزله على لسان جبريل عليه السلام فهو المكتوب في المصاحف وهو المكتوب في اللوح المحفوظ وهو الذي يسمعه المؤمنون في الجنة من الباري تعالى بغير حجاب ولا واسطة وذلك معنى قوله تعالى * (سلام قولا من رب رحيم) * وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام * (يا موسى إني أنا الله رب العالمين) * ومناجاته من غير واسطة حتى قال تعالى * (وكلم الله موسى تكليما) * وقال * (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) * وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال ان الله تعالى كتب التوراة بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق ادم بيده وفي التنزيل * (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) *

قالوا فنحن لا نريد من أنفسنا شيئا ولا نتدارك بعقولنا امرا لم يتعرض له السلف قالوا ما بين الدفتين كلام الله قلنا هو كذلك واستشهدوا عليه بقوله تعالى * (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) * ومن المعلوم انه ما سمع الا هذا الذي نقرؤه وقال تعالى * (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين) * وقال * (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برررة) * وقال * (إنا أنزلناه في ليلة القدر) * وقال * (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) * إلى غير ذلك من الآيات

ومن المشبهة من مال إلى مذهب الحلولية وقال يجوز ان يظهر الباري تعالى بصورة

شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل في صورة اعرابي وقد تمثل لمريم بشرا سويا وعليه حمل قول النبي عليه الصلاة والسلام رأيت ربي في أحسن صورة وفي التوراة عن موسى عليه السلام شافهت الله تعالى فقال لي كذا

والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول

ثم الحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل على ما سيأتي في تفصيل مذاهبهم ان شاء الله تعالى

٣ – الكرامية

أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام وانما عددناه من الصفاتية لأنه كان ممن يثبت الصفات الا انه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه إلى أهل السنة فيما قدمنا ذكره

وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشر فرقة وأصولها ستة العابدية والتونية والزرينية والإسحاقية والواحدية وأقربهم الهيصمية ولكل واحدة منهم رأي الا انه لما لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين بل عن سفهاء اغتام جاهلين لم نفردها مذهبا وأوردنا مذهب صاحب المقالة وأشرنا إلى ما يتفرع منه

نص أبو عبد الله علي ان معبوده على العرش استقرارا وعلى انه بجهة فوق ذاتا وأطلق عليه اسم الجوهر فقال في كتابه المسمى عذاب القبر انه احدى الذات احدى

الجوهر وانه مماس للعرش من الصفحة العليا وجوز الانتقال والتحول والنزول ومنهم من قال انه على بعض اجزاء العرش وقال بعضهم امتلأ العرش به وصار المتأخرون منهم إلى انه تعالى بجهة فوق وانه محاذ للعرش

ثم اختلفوا فقالت العابدية ان بينه وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولا بالجواهر لاتصلت به وقال محمد بن الهيصم ان بينه وبين العرش بعدا لا يتناهى وانه مباين للعالم بينونة أزلية ونفى التحيز والمحاذاة وأثبت الفوقية والمباينة

وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا نعنى بكونه جسما انه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم وبنوا على هذا ان من حكم القائمين بأنفسهما ان يكونا متجاورين أو متباينين فقضى بعضهم بالتجاور مع العرش وحكم بعضهم بالتباين وربما قالوا كل موجودين فاما ان يكون أحدهما بحيث الاخر كالعرض مع الجوهر واما ان يكون بجهة منه والبارى تعالى ليس بعرض إذ هو قائم بنفسه فيجب ان يكون بجهة العالم ثم أعلى الجهات وأشرفها جهة فوق فقلنا هو بجهة فوق بالذات حتى إذا رؤى رؤى من تلك الجهة

ثم لهم اختلافات في النهاية فمن المجسمة من أثبت النهاية له من ست جهات ومنهم من أثبت النهاية له من جهة تحت ومنهم من انكر النهاية له فقال هو عظيم

ولهم في معنى العظمة خلاف فقال بعضهم معنى عظمته انه مع وحدته على جميع اجزاء العرش والعرش تحته وهو فوق كله على الوجه الذي هو فوق جزء منه وقال بعضهم معنى عظمته انه يلاقى مع وحدته من جهة واحدة أكثر من واحد وهو يلاقى جميع اجزاء العرش وهو العلى العظيم

ومن مذهبهم جميعا جواز قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى ومن أصلهم ان ما يحدث في ذاته فإنما يحدث بقدرته وما يحدث مباينا لذاته فإنما يحدث بواسطة

الاحداث ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين في ذاته بقدرته من الأقوال والإرادات ويعنون بالمحدث ما بين ذاته من الجواهر والاعراض
ويفرقون بين الخلق والمخلوق والايجاد والموجود والموجد وكذلك بينا الاعدام والمعدوم فالمخلوق انما يقع بالخلق والخلق انما يقع في ذاته بالقدرة والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع في ذاته بالقدرة
وزعموا ان في ذاته سبحانه حوادث كثيرة مثل الاخبار عن الأمور الماضية والآتية والكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام والقصص والوعد والوعيد والاحكام ومن ذلك المسمعات والمبصرات فيما يجوز ان يسمع ويبصر والايجاد والاعدام هو القول والإرادة وذلك قوله كن للشئ الذي يريد كونه وارادته لوجود ذلك الشئ وقوله للشئ كن صورتان
وفسر محمد بن الهيثم الايجاد والاعدام بالإرادة والايثار قال وذلك مشروط بالقول شرعا إذ ورد في التنزيل * (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) * وقوله * (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) *
وعلى قول الأكثرين منهم الخلق عبارة عن القول والإرادة ثم اختلفوا في التفصيل فقال بعضهم لكل موجود ايجاد ولكل معدوم اعدام وقال بعضهم ايجاد واحد يصلح لموجودين إذا كانا من جنس واحد وإذا اختلف الجنس تعدد الايجاد والزم بعضهم لو افتقر كل موجود أو كل جنس إلى ايجاد فليفتقر كل ايجاد إلى قدرة فالتزم تعدد القدرة بتعدد الايجاد
وقال بعضهم أيضا تتعدد القدرة بعدد أجناس المحدثات وأكثرهم على انها تتعدد بعدد أجناس الحوادث التي تحدث في ذاته من الكاف والنون والإرادة والسمع والبصر وهى خمسة أجناس

ومنهم من فسر السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر ومنهم من أثبت لله تعالى السمع والبصر أزلا والتبصرات هي إضافة المدركات اليهما
وقد اثبتوا لله تعالى مشيئة قديمة متعلقة بأصول المحدثات وبالحوادث التي تحدث في ذاته واثبتوا إرادات حادثة تتعلق بتفاصيل المحدثات
واجمعوا على ان الحوادث لا توجب لله تعالى وصفا ولا هي صفات له فتحدث في ذاته هذه الحوادث من الاقول والإرادات والتسمعات والتبصرات ولا يصير بها قائلا ولا مريدا ولا سميعا ولا بصيرا بخلق هذه الحوادث محدثا ولا خالقا وانما هو قائل بقائليته وخالق بخالقيته ومريد بمريديته وذلك قدرته على هذه الأشياء
ومن أصلهم ان الحوادث التي يحدثها في ذاته واجبة البقاء حتى يستحيل عدمها إذ لو جاز عليها العدم لتعاقبت على ذاته الحوادث ولشارك الجوهر في هذه القضية وأيضا فلو قدر عدمها فلا يخلو اما ان يقدر عدمها بالقدرة أو باعدام يخلقه في ذاته ولا يجوز ان يكون عدمها بالقدرة لأنه يؤدى إلى ثبوت المعدوم ذاته وشرط الموجود والمعدوم ان يكونا مباينين لذاته ولو جاز وقوع معدوم في ذاته بالقدرة من غير واسطة اعدام لجاز حصول سائر المعلومات بالقدرة ثم يجب طرد ذلك الموجد حتى يجوز وقوع موجد محدث في ذاته وذلك محال عندهم ولو فرض اعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام فيسلسل فارتكبوا لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث في ذاته ومن أصلهم ان المحدث انما يحدث في ثاني حال ثبوت الاحداث بلا فصل ولا اثر للاحداث في حال بقائه
ومن أصلهم ان ما يحدث في ذاته من الامر فمنقسم إلى ١ امر التكوين وهو فعل يقع تحته المفعول والى ما ليس امر التكوين وذلك اما خبر واما امر التكليف ونهى التكليف وهى افعال من حيث دلت على القدرة ولا تقع تحتها مفعولات هذا هو تفصيل مذاهبهم محل الحوادث

وقد اجتهد ابن الهيصم في ارمام مقالة أبى عبد الله في كل مسألة حتى ردها من المحال الفاحش إلى نوع يفهم فيما بين العقلاء مثل التجسيم فإنه قال أراد بالجسم القائم بالذات ومثل الفوقية فإنه حملها على العلو وأثبت البينونة غير المتناهية وذلك الخلاء الذي اثبته بعض الفلاسفة ومثل الاستواء فإنه نفى المجاورة والمماسة والتمكن بالذات غير مسألة محل الحوادث فإنها لم تقبل المرمة فالتزمها كما ذكرنا وهى من أشنع المحالات عقلا

وعند القوم ان الحوادث تزيد على عدد المحدثات بكثير فيكون في ذاته أكثر من عدد المحدثات عالم من الحوادث وذلك محال وشنيع

ومما اجمعوا عليه من اثبات الصفات قولهم الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة شاء بمشيئته وجميع هذه الصفات صفات قديمة أزلية قائمة بذاته وربما زادوا السمع والبصر كما أثبته الأشعري وربما زادوا اليدين والوجه صفات قديمة قائمة بذاته وقالوا له يد لا كالأيدي ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز رؤيته من جهة فوق دون سائر الجهات

وزعم ابن الهيصم ان الذي أطلقه المشبهة على الله عز وجل من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة ونحو ذلك لا يشبه سائر ما أطلقه الكرامية من انه خلق آدم بيده وانه استوى على عرشه وانه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق وذلك انا لا نعتقد من ذلك شيئا على معنى فاسد من جارحتين وعضوين تفسيرا لليدين ولأي مطابقة للمكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيرا للا ستواء ولا ترددا في الاما كن التي تحيط به تفسيرا للمجيء وانما ذهبنا في ذلك إلى اطلاق ما أطلقه القران فقط من غير تكييف وتشبيه وما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه كما أطلقه سائر المشبهة والمجسمة

وقال الباري تعالى عالم في الأزل بما سيكون على الوجه الذي يكون وشاء لتنفيذ

علمه في معلوماته فلا ينقلب علمه جهلا ومريد لما يخلق في الوقت الذي يخلق بإرادة حادثه وقائل لكل ما يحدث بقوله كن حتى يحدث وهو الفرق بين الاحداث والمحدث والخلق والمخلوق وقال نحن نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى وانه أراد الكائنات كلها خيرها وشرها وخلق الموجودات كلها حسنها وقبيحها ونثبت للعبد فعلا بالقدرة الحادثة ويسمى ذلك كسبا ومقدرتا الحادثة مؤثره في اثبات فائدة زائدة على كونه مفعولا مخلوقا للبارى تعالى تلك الفائدة هي مورد التكليف والمورد هو المقابل بالثواب والعقاب

واتفقوا على ان العقل يحسن ويقبح قبل الشرع وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة الا انهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والاصلاح واللطف عقلا كما قالت المعتزلة وقالوا الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع إلى احكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع إلى احكام الآخرة والجزاء فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا على الحقيقة مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة

وقالوا في الإمامة انها تثبت باجماع الأمة دون النص والتعيين كما قال أهل السنة الا انهم جوزوا عقد البيع لامامين في قطرين وغرضهم اثبات امامة معاوية في الشام باتفاق جماعة من أصحابه واثبات أمير المؤمنين على بالمدينة والعراقين باتفاق جماعة من الصحابة ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الاحكام الشرعية قتالا على طلب عثمان رضى الله عنه واستقلالا ببيت المال

ومذهبهم الأصلي اتهام على رضى الله عنه في الصبر على ما جرى مع عثمان رضى الله عنه والسكوت عنه وذلك عرق نزع

الفصل الرابع
الخوارج
الخوارج والمرجئة والوعيدية
كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان
والمرجئة صنف آخر تكلموا في الإيمان والعمل إلا أنهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة
والوعيدية داخلة في الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار فذكرنا مذاهبهم في أثناء مذاهب الخوارج
إعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي حين قالوا القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف حتى قال أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله قالوا لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان
فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الأشتر امره

وكان من أمر الحكمين أن الخوارج حملوه على التحكيم أولا وكان يريد أن يبعث عبد الله بن عباس رضي الله عنه فما رضى الخوراج بذلك وقالوا هو منك وحملوه على بعث أبي موسى الأشعري على أن يحكم بكتاب الله تعالى فجرى الأمر على خلاف ما رضى به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا لم حكمت الرجال لا حكم إلا لله وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان

وكبار الفرق منهم المحكمة والأزارقة والنجدات والبيهسية والعجاردة والثعالبة والإباضية والصفرية والباقون فروعهم

ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك

ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا

١ - المحكمة الأولى

هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورأسهم عبد الله بن الكواء وعتاب بن الأعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن أبي عاصم المحاربي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية وكانوا يومئذ في اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام أعني يوم النهروان

وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم تحقر صلاة أحدكم في جنب صلاتهم وصوم أحدكم في جنب صيامهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم

فهم المارقة الذين قال فيهم سيخرج من ضئضي هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية

وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وأخرهم ذو الثدية وإنما خروجهم في الزمن الأول على أمرين
أحدهما بدعتهم في الإمامة إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماما
ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا ان لا يكون في العالم إمام أصلا وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا
والبدعة الثانية أنهم قالوا أخطأ علي في التحكيم إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله وقد كذبوا على علي رضي الله عنه من وجهين
(١) أحدهما في التحكيم أنه حكم الرجال وليس ذلك صدقا لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم
(ب) والثاني أن تحكيم الرجال جائز فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال ولهذا قال علي رضي الله عنه
كلمة حق أريد بها باطل وتخطوا عن هذه التخطئة إلى التكفير ولعنوا عليا رضي الله عنه فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين

فقاتل الناكثين واغتنم أموالهم وما سبى ذراريهم ونساءهم
وقتل مقاتلة من القاسطين وماغتنم ولا سبى ثم رضى بالتحكيم وقاتل المقاتلة المارقين واغتنم أموالهم وسبى ذراريهم
وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين
فقاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة وما قتل من المسلمين إلا أقل من عشرة
فانهزم اثنان منهم إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تل مورون باليمن وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم وبقيت إلى اليوم
وأول من بويع من الخوارج بالإمامة عبد الله بن وهب الراسبي في منزل زيد ابن حصين بايعه عبد الله بن الكواء وعروة بن جرير ويزيد بن عاصم المحاربي وجماعة منهم
وكان يمتنع عليهم تحرجا ويستقبلهم ويومىء إلى غيره تحرزا فلم يقنعوا إلا به وكان يوصف برأي ونجدة فتبرأ من الحكمين وممن رضى بقولهما وصوب أمرهما وأكفروا أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه وقالوا إنه ترك حكم الله وحكم الرجال وقيل إن أول من تلفظ بهذا رجل من بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم يقال له الحجاج بن عبيد الله يلقب بالبرك وهو الذي ضرب معاوية على أليته لما سمع بذكر الحكمين وقال أتحكم في دين الله لا حكم إلا لله فلنحكم بما حكم الله في القرآن به فسمعها رجل فقال طعن والله فأنفد فسموا المحكمة بذلك
ولما سمع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هذه الكلمة قال
كلمة عدل أريد بها جور إنما يقولون لا إمارة ولا بد من إمارة بر أو فاجر
ويقال إن أول سيف سل من سيوف الخوارج سيف عروة بن حدير وذلك أن

أقبل على الأشعث بن قيس فقال ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أحدكم أوثق من شرط الله تعالى ثم شهر السيف والأشعث مولى فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية فلما رأى ذلك الأحنف مشى هو وأصحابه إلى الأشعث فسألوه الصفح ففعل

وعروة بن حدير نجا بعد ذلم من حرب النهروان وبقى إلى أيام معاوية ثم أتى إلى زياد بن أبيه ومعه مولى له فسأله زياد عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال فيهما خيرا وسأله عن عثمان فقال كنت أوالي عثمان على أحواله في خلافته ست سنين ثم تبرأت منه بعد ذلك للأحداث التي أحدثها وشهد عليه بالكفر وسأله عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال كنت أتولاه إلى أن حكم الحكمين ثم تبرأت منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر وسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت فيما بينهما بعد عاص ربك فأمر زياد بضرب عنقه ثم دعا مولاه فقال له صف لي أمره وأصدق فقال أأطنب أم أختصر فقال بل اختصر قال ما أتيته بطعام في نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط هذه معاملته واجتهاده وذلك خبثه واعتقاده

٢ – الأزارقة

أصحاب أبي راشد نافع بن الزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز

فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي
وكان مع نافع من أمراء الخوارج عطية بن الأسود الحنفي وعبد الله بن الماحوز وأخواه عثمان والزبير وعمرو بن عمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة

ابن هلال اليشكري وأخوه محرز بن هلال
وصخر بن حبيب التميمي وصالح بن مخراق العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في زهاء ثلاثين ألف فارس ممن يرى رأيهم وينخرط في سلكهم
فأنفذ إليهم عبد الله بن الحارث بن نوفل النوفلي بصاحب جيشه مسلم بن عبيس بن كريز بن حبيب فقتله الخوارج وهزموا أصحابه فأخرج إليهم أيضا عثمان بن عبد الله ابن معمر التميمي فهزموه فأخرج إليهم حارثة بن بدر العتابي في جيش كثيف فهزموه وخشي أهل البصرة على أنفسهم وبلدهم من الخوارج فأخرج إليهم المهلب بن أبي صفرة
فبقى في حرب الأزارقة تسع عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الأزارقة وبايعوا بعده قطري بن الفجاءة المازني وسموه أمير المؤمنين
وبدع الأزارقة ثمانية
إحداها أنا أكفر عليا رضي الله عنه وقال إن الله أنزل في شانه * (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) * وصوب عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وقال
إن الله تعالى أنزل في شأنه * (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله) *
وقال عمران بن حطان وهو مفتي الخوارج وزاهدها وشاعرها الأكبر في ضربة ابن ملجم لعنه الله لعلي رضي الله عنه
يا ضربة من منيب ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار جميعا
والثانية أنه أكفر القعدة وهو أول من أظهر البراءة من القعدة عن القتال وإن كان موافقا له على دينه وأكفر من لم يهاجر إليه
والثالثة إباحته قتل أطفال المخالفين والنسوان معهم
والرابعة إسقاط الرجم عن الزاني إذ ليس في القرآن ذكره وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء

والخامسة حكمه بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم
والسادسة أن التقية غير جائزة في قول ولا عمل
والسابعة تجويزه ان يبعث الله تعالى نبيا يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافرا قبل البعثة
والكبائر والصغائر إذا كانت بمثابة عنده وهي كفر وفي الأمة من جوز الكبائر والصغائر على الأنبياء عليهم السلام فهي كفر
والثامنة إجتمعن الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الإسلام جملة ويكون مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر إبليس وقالوا ماارتكب إلا كبيرة حيث أمر بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع وإلا فهو عارف بوحدانية الله تعالى
٣ – النجدات العاذربة
أصحاب نجدة بن عامر الحنفي وقيل عاصم وكان من شأنه أنه خرج من اليمامة

مع عسكره يريد اللحوق بالأزارقة فاستقبله أبو فديك وعطية بن الأسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الأحداث والبدع وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين ثم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لأمور نقموها عليه

منها أنه بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فقتلوا رجالهم وسبوا نسائهم وقوموها على أنفسهم وقالوا إن صارت قيمتهن في حصصنا فذاك وإلا رددنا الفضل ونكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك قال لم يسعكم ما فعلتم قالوا لم نعلم أن ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم

واختلف أصحابه بذلك فمنهم من وافقه وعذر بالجهالات في الحكم الاجتهادي وقالوا الدين أمران

أحدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم وإلإقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب على الجميع والجهل به لا يعذر فيه

والثاني ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام قالوا ومن جوز العذاب على المجتهد المخطىء في الأحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر

واستحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في حال التقية وحكم بالبراءة ممن حرمها قال وأصحاب الحدود من موافقيه لعل الله تعالى يعفو عنهم وإن عذبهم ففي غير النار ثم يدخلهم الجنة فلا تجوز البراءة عنهم

قال ومن نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها فهو مشرك ومن زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظا شديدا

ولما كاتب عبد الملك بن مروان وأعطاه الرضى نقم عليه أصحابه فيه فاستتابوه فأظهر التوبة فتركوا النقمة عليه والتعرض له وندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا أخطأنا وما كان لنا أن نستتيب الإمام وما كان له أن يتوب باستتابتنا إياه فتابوا من ذلك وأظهروا الخطأ وقالوا له تب من توبتك وإلا نابذناك فتاب من توبته

وفارقه أبو فديك وعطية ووثب عليه أبو فديك فقتله ثم برئ أبو فديك من عطية وعطية من أبي فديك وأنفذ عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي مع جيش إلى حرب أبي فديك فحاربه أياما فقتله ولحق عطية بأرض سجستان ويقال لأصحابه العطوية ومن أصحابه عبد الكريم بن عجرد زعيم العجاردة

وإنما قيل للنجدات العاذرية لأنهم عذروا بالجهالات في أحكام الفروع وحكى الكعبي عن النجدات أن التقية جائزة في القول والعمل كله وإن كان في قتل النفوس قال

وأجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز

ثم افترقوا بعد نجدة إلى عطوية وفديكية

وبرىء كل واحد منهما عن صاحبه بعد قتل نجدة وصارت الدار لأبي فديك إلا من تولى نجدة وأهل سجستان وخراسان وكرمان وقهستان من الخوارج على مذهب عطية

وقيل كان نجدة بن عامر ونافع بن الأزرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج على

ابن الزبير ثم تفرقا عنه واختلف نافع ونجدة فصار نافع إلى البصرة ونجدة إلى اليمامة وكان سبب اختلافهما أن نافعا قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر واحتج بقول الله تعالى * (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) * وبقوله تعالى * (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) *
وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتج بقول الله تعالى * (إلا أن تتقوا منهم تقاة) * وبقوله تعالى * (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) * وقال القعود جائز والجهاد إذا أمكنه أفضل قال الله تعالى * (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) *
وقال نافع هذا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين كانوا مقهورين وأما في غيرهم مع الإمكان فالقعود كفر لقول الله تعالى * (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) *

٤ – البيهسية

أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر وهو أحد بني سعد بن ضبيعة وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدنية فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك وكفر أبو بيهس إبراهيم وميمون في اختلافهما في بيع الأمة وكذلك كفر

الواقفية وزعم أنه لا يسلم أحد حتى يقر بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله ومعرفة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والولاية لأولياء الله تعالى والبراءة من أعداء الله فمن جملة ما ورد به الشرع وحكم به ما حرم الله وجاء به الوعيد فلا يسعه إلا معرفته بعينه وتفسيره والاحتراز عنه ومنه ما ينبغي أن يعرف باسمه ولا يضره ألا يعرفه بتفسيره حتى يبتلى به وعليه أن يقف عند مالا يعلم ولا يأتي بشيء إلا بعلم وبرىء أبو بيهس عن الواقفية لقولهم إنا نقف فيمن واقع الحرام وهو لا يعلم أحلالا واقع أم حراما قال كان من حقه أن يعلم ذلك

والإيمان هو أن يعلم كل حق وباطل وأن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل ويحكى عنه أنه قال الإيمان هو الإقرار والعلم وليس هو أحد الأمرين دون الآخر وعامة البيهسية على أن العلم والإقرار والعمل كله إيمان

وذهب قوم منهم إلى أنه لا يحرم سوى ما ورد في قوله تعالى * (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه) * الآية وما سوى ذلك فكله حلال

ومن البيهسية قوم يقال لهم العونية وهم فرقتان

١ فرقة تقول من رجع من دار الهجرة إلى القعود برئنا منه

٢ وفرقة تقول بل نتولاهم لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالا لهم

والفرقتان اجتمعتا على أن الإمام إذا كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد ومن البيهسية صنف يقال لهم أصحاب التفسير زعموا أن من شهد من المسلمين شهادة أخذ بتفسيرها وكيفيتها

وصنف يقال لهم أصحاب السؤال قالوا إن الرجل يكون مسلما إذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة وإن لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه ولا يضره أن لا يعلم حتى يبتلى به فيسأل وإن واقع حراما لم يعلم تحريمه فقد كفر وقالوا في الأطفال بقول الثعلبية إن أطفال المؤمنين مؤمنون وأطفال الكافرين كافرون ووافقوا القدرية في القدر وقالوا إن الله تعالى فوض إلى العباد فليس لله في أعمال العباد مشيئة فبرئت منهم عامة البيهسية

وقال بعض البيهسية إن واقع الرجل حراما لم يحكم بكفره حتى يرفع أمره إلى الإمام الوالي ويحده وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور

وقال بعضهم إن السكر إذا كان من شراب حلال فلا يؤاخذ صاحبه بما قال فيه وفعل وقالت العونية السكر كفر ولا يشهدون انه كفر ما لم ينضم إليه كبيرة أخرى من ترك الصلاة أو قذف المحصن

ومن الخوارج أصحاب صالح بن مسرح ولم يبلغنا عنه أنه أحدث قولا تميز به عن أصحابه فخرج على بشر بن مروان فبعث إليه بشر بن الحارث بن عميرة أو الأشعث

ابن عميرة الهمداني أنفذه الحجاج لقتاله فأصابت صالحا جراحه في قصر جلولاء فاستخلف مكانه شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني المكنى بأبي الصحارى وهو الذي غلب على الكوفة وقتل من جيش الحجاج أربعة وعشرين أميرا كلهم أمراء الجيوش ثم انهزم إلى الأهواز وغرق في نهر الأهواز وهو يقول * (ذلك تقدير العزيز العليم) *
وذكر االيمان ان الشبيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا إليه من الوقف في أمر صالح ويحكى عنه أنه برئ منه وفارقه ثم خرج يدعى الإمامة لنفسه ومذهب شبيب ما ذكرناه من مذاهب البيهسية إلا ان شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين مما لم يكن لخارج من الخوارج وقصته مذكورة في التواريخ

٥ – العجاردة

أصحاب عبد الكريم بن عجرد وافق النجدات في بدعهم وقيل إنه كان من أصحاب أبي بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى إلى الإسلام ويجب دعاؤه إذا بلغ وأطفال المشركين في النار مع آباائهم ولا يرى المال فيئا حتى يقتل صاحبه وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة ويكفرون بالكبائر ويحكى عنهم انهم ينكرن كون سورة يوسف من القرآن ويزعمون انها قصة من القصص قالوا ولا يجوز ان تكون قصة العشق من القرآن

ثم ان العجاردة افترقوا أصنافا ولكل صنف مذهب على حياله الا انهم لما كانوا من جملة العجاردة اوردناهم على حكم التفصيل بالجدول والضلع وهم
الصلتية أصحاب عثمان بن أبى الصلت أو الصلت بن أبى الصلت تفرد عن العجاردة بأن الرجل إذا اسلم تولیناه وتبرأنا من أطفاله حتى يدركوا فيقبلوا الاسلام
ويحكى عن جماعة منهم انهم قالوا ليس لا طفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا إلى الاسلام فيقروا أو ينكروا
ب الميمونية أصحاب ميمون بن خالد كان من جملة العجاردة الا انه تفرد عنهم باثبات القدر خيره وشره من العباد واثبات الفعل للعبد خلقا وابداعا واثبات الاستطاعة قبل الفعل والقول بان الله تعالى يريد الخير دون الشر وليس له مشيئة في معاصي العباد وذكر الحسين الكرابيسي في كتابه الذي حكى فيه مقالات الخوارج ان الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات وبنات اولادالاخوة والأخوات إن الله تعالى حرم نكاح البنات وبنات الإخوة والأخوات ولم يحرم نكاح أولاد هؤلاء
وحكى الكعبي والأشعري عن الميمونية انكارها كون سورة يوسف من القرآن وقالوا بوجوب قتال السلطان وحده ومن رضى بحكمه فاما من أنكره فلا يجوز قتاله الا إذا أعان عليه أو طعن في دين الخوارج أو صار دليلا للسلطان وأطفال المشركين عندهم في الجنة
ج الحمزية أصحاب حمزة بن أدرك وافقوا الميمونية في القدر وفي سائر

بدعها إلا في أطفال مخالفيهم والمشركين فإنهم قالوا هؤلاء كلهم في النار
وكان حمزة من أصحاب الحسين بن الرقاد الذي خرج بسجستان من أهل أوق وخالفه خلف الخارجي في القول بالقدر واستحقاق الرئاسة فبرئ كل واحد منهما عن صاحبه وجوز حمزة إمامين في عصر واحد ما لم تجتمع الكلمة ولم تقهر الأعداء
د الخلفية أصحاب خلف الخارجي وهم من خوارج كرمان ومكران خالفوا الحمزية في القول بالقدر وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى وسلكوا في ذلك مسلك أهل السنة وقالوا الحمزية ناقضوا حيث قالوا لو عذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم أو على ما لم يفعلوه كان ظالما وقضوا بأن أطفال المشركين في النار ولا عمل لهم ولا ترك وهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض
الأطرافية فرقة على مذهب حمزة في القول بالقدر إلا أنهم عذروا أصحاب الأطراف في ترك ما لم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل وأثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية
إذا أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل وأثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية
ورئيسهم غالب بن شاذك من سجستان وخالفهم عبد الله السديوري وتبرأ منهم

ومنهم المحمدية أصحاب محمد بن رزق وكان من أصحاب الحسين بن الرقاد ثم برئ منه
و الشعيبية أصحاب شعيب بن محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة إلا أنه برئ منه حين أظهر القول بالقدر
قال شعيب إن الله تعالى خالق أعمال العباد والعبد مكتسب لها قدرة وإيراد مسؤول عنها خيرا وشرا مجازى عليها ثوابا وعقابا ولا يكون شيء في الوجود الا بمشيئة الله تعالى وهو على بدع الخوارج في الإمامة والوعيد وعلى بدع العجاردة في حكم الأطفال وحكم القعدة والتولي والتبري
ز الحازمية أصحاب حازم بن علي أخذوا بقول شعيب في ان الله تعالى خالق أعمال العباد ولا يكون في سلطانه إلا ما يشاء وقالوا بالموافاة وأن الله تعالى إنما يتولى العباد على ما علم أنهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الإيمان ويتبرأ منهم على ما علم أنهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الكفر وأنه سبحانه لم يزل محبا لأوليائه مبغضا لأعدائه ويحكى عنهم أنهم يتوقفون في أمر علي رضي الله عنه ولا يصرحون بالبراءة عنه ويصرحون بالبراءة في حق غيره
٦ – الثعالبة
أصحاب ثعلبة بن عامر كان مع عبد الكريم بن عجرد يدا واحدة إلى أن اختلفا في أمر الأطفال فقال ثعلبة إنا على ولايتهم صغارا وكبارا حتى نرى منهم إنكارا للحق ورضى بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة ونقل عنه أيضا أنه قال ليس له حكم في حال الطفولة من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فإن قبلوا فذاك وإن

أنكروا كفروا وكان يرى أخذ الزكاة من عبيدهم إذا استغنوا وإعطاءهم منها إذا افتقروا
(١) الأخنسية أصحاب أخنس بن قيس من جملة الثعالبة وانفرد عنهم بأن قال أتوقف في جميع من كان في دار التقية من أهل القبلة إلا من عرف منه إيمان فأتولاه عليه أو كفر فأتبرأ منه وحرموا الاغتيال والقتل والسرقة في السر ولا يبدأ أحد من أهل القبلة بالقتال حتى يدعى إلى الدين فإن امتنع قوتل سوى من عرفوه بعينه على خلاف قولهم وقيل أنهم جوزوا تزويج المسلمات من مشركي قومهم أصحاب الكبائر وهم على أصول الخوارج في سائر المسائل
(ب) المعبدية أصحاب معبد بن عبد الرحمن كان من جملة الثعالبة خالف الأخنس في الخطأ الذي وقع له في تزويج المسلمات من مشرك وخالف ثعلبة في ما حكم من أخذ الزكاة من عبيدهم وقال إني لأبرأ منه بذلك ولا أدع اجتهادي في خلافه وجوزوا ان تصير سهام الصدقة سهما واحدا في حال التقية
(ج) الرشيدية أصحاب رشيد الطوسي ويقال لهم العشرية وأصلهم أن الثعالبة كانوا يجيبون فيما سقي بالأنهار والقنى نصف العشر فأخبرهم زياد بن عبد الرحمن أن فيه العشر ولا تجوز البراءة ممن قال فيه نصف العشر قبل هذا فقال رشيد إن لم تجز البراءة منهم فإنا نعمل بما عملوا فافترقوا في ذلك فرقتين
(د) الشيبانية أصحاب شيبان بن سلمه الخارج في أيام أبي مسلم وهو المعين له ولعلي بن الكرماني علي نصر بن سيار وكان من الثعالبة فلما أعانهما برئت منه الخوارج فلما قتل شيبان ذكر قوم توبته فقالت الثعالبة لا تصح توبته لأنه قتل الموافقين لنا في المذهب وأخذ أموالهم ولا تقبل توبة من قتل مسلما وأخذ ماله إلا بأن يقتص من نفسه ويرد الأموال أو يوهب له ذلك

ومن مذهب شيبان أنه قال بالجبر ووافق جهم بن صفوان في مذهبه إلى الجبر ونفى القدرة الحادثة وينقل عن زياد بن عبد الرحمن الشيباني أبي خالد أنه قال إن الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه علما وإن الأشياء إنما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها ونقل عنه إنه تبرأ من شيبان وأكفره حين نصر الرجلين فوقعت عامة الشيبانية بجرجان ونسي وأرمينيا والذي تولى شيبان وقال بتوبته عطية الجرجاني وأصحابه

(ه) المكرمية أصحاب مكرم بن عبد الله العجلي كان من جملة الثعالبة وتفرد عنهم بأن قال تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ولكن من أجل جهله بالله تعالى وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الإنسان وقال إنما يكفر لجهله بالله تعالى وذلك أن العارف بوحدانية الله تعالى وإنه المطلع على سره وعلانيته المجازي على طاعته ومعصيته ان يتصور منه الإقدام على المعصية والاجتراء على المخالفة ما لم يغفل عن هذه المعرفة ولا يبالي بالتكليف منه وعن هذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الخبر

وخالفوا الثعالبة في هذا القول وقالوا بإيمان الموافاة والحكم بان الله تعالى إنما يتولى عباده ويعاديهم على ما هم صائرون إليه من موافاة الموت لا على أعمالهم التي هم فيها فإن ذلك ليس بموثوق به إصرارا عليه ما لم يصل إلى آخر عمره ونهاية أجله فحينئذ إن بقي على ما يعتقده فذلك هو الإيمان فنواليه وإن لم يبق فنعاديه وكذلك في حق الله تعالى حكم الموالاة والمعاداة على ما علم منه حال الموافاة وكلهم على هذا القول

(و) المعلومية والمجهولية كانوا في الصل حازمية إلا أن المعلومية قالت من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به حتى يصير عالما بجميع ذلك فيكون مؤمنا وقالت الاستطاعة مع الفعل والفعل مخلوق للعبد فبرئت منه الحازمية

وأما المجهولية فإنهم قالوا من علم بعض أسماء الله تعالى وصفاته وجهل بعضها فقد عرفه تعالى وقالت إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى

(ز) البدعية أصحاب يحي بن أصدم أبدعوا القول بأن نقطع على أنفسنا بأن من اعتقد اعتقادنا فهو من أهل الجنة ولا نقول إن شاء الله فإن ذلك شك في الاعتقاد ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فهو شاك فنحن من أهل الجنة قطعا من غير شك

٧ – الإباضية

أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطيه فقاتله بتبالة وقيل إن عبد الله بن يحي الأباضي كان رفيقا في جميع أحواله وأقواله قال إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من االسلاح والكراع عند الحرب حلال وما سواه حرام وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة

وقالوا إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر أنهم موحدون لا مؤمنون

وحكى الكعبي عنهم إن الاستطاعة عرض من الأعراض وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل وأفعال العباد مخلوقه لله تعالى أحداثا وإبداعا ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا ولا يسمون إمامهم أمير المؤمنين ولا أنفسهم مهاجرين وقالوا العالم يفنى كله

إذا فنى أهل التكليف قال واجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة وتوقفوا في أطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضلا وحكى الكعبي عنهم انهم قالوا بطاعة لا يراد بها الله تعالى كما قال أبو الهذيل

ثم اختلفوا في النفاق أيسمى شركا أم لا قالوا إن المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موحدين إلا أنهم ارتكبوا الكبائر فكفروا بالكبيرة لا بالشرك وقالوا كل شيء أمر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص وقد أمر به المؤمن والكافر وليس في القرآن خصوص وقالوا لا يخلق الله تعالى شيئا إلا دليلا على وحدانيته ولا بد أن يدل به واحدا وقال قوم منهم يجوز أن يخلق الله تعالى رسولا بلا دليل ويكلف العباد بما أوحى إليه ولا يجب عليه إظهار المعجزة ولا يجب على الله تعالى ذلك إلى أن يخلق دليلا ويظهر معجزة وهم جماعة متفرقون في مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة

(١) الحفصية هم أصحاب حفص بن أبي المقدام تميز عنهم بأن قال إن بين

الشرك والإيمان خصلة واحدة وهي معرفة الله تعالى وحده فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو قيامة أو جنة أو نار أو ارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه برئ من الشرك

(ب) الحارثية أصحاب الحارث الإباضي خالف الإباضية في قوله بالقدر على مذهب المعتزلة وفي الاستطاعة قبل الفعل وفي إثبات طاعة لا يراد بها الله تعالى

(ج) اليزيدية أصحاب يزيد بن أنيسة الذي قال بتولي المحكمة الأولى قبل الأزارقة وتبرأ من بعدهم الا الإباضية فإنه يتولاهم وزعم إن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصائبة الموجودة بحران وواسط

وتولى يزيد من شهد لمحمد المصطفى عليه الصلاة ووالسلام من أهل الكتاب بالنبوة وإن لم يدخل في دينه وقال إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك

٨ – الصفرية الزيادية
أصحاب زياد بن الأصفر خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في أمور منها أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار وقالوا التقية جائزة في القول دون العمل وقالوا ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف فيسمى زانيا سارقا قاذفا لا كافرا مشركا
وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفر بذلك ونقل عن الضحاك منهم أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية ورأى زياد بن الأصفر جميع الصدقات سهما واحدا في حال التقية ويحكى عنه إنه قال نحن مؤمنون عند أنفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله وقال الشرك شركان شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الأوثان والكفر كفران كفر بإنكار النعمة وكفر بإنكار الربوبية والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة وبراءة من أهل الجحود فريضة
ولنختتم المذاهب بذكر تتمة رجال الخوارج
من المتقدمين عكرمة وأبو هارون العبدي وأبو الشعثاء وإسماعيل بن سميع
ومن المتأخرين اليمان بن رباب ثعلبي ثم بيهسي وعبد الله بن يزيد ومحمد بن حرب ويحي بن كامل إباضية
ومن شعرائهم عمران بن حطان وحبيب بن مرة صاحب الضحاك بن قيس ومنهم أيضا جهم بن صفوان وأبو مروان غيلان بن مسلم ومحمد بن عيسى برغوث

وأبو الحسين كلثوم بن حبيب المهلبي وأبو بكر محمد بن عبد الله بن شبيب البصري وعلي بن حرملة وصالح بن قبة بن صبيح بن عمرو ومويس بن عمران البصري وأبو عبد الله بن مسلمة وأبو عبد الرحمن بن مسلمة والفضل بن عيسى الرقاشي وأبو زكريا يحي بن أصفح وأبو الحسين محمد بن مسلم الصالحي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن الخالدي ومحمد بن صدقة وأبو الحسين علي بن زيد الأباضي وأبو عبد الله محمد بن كرام وكلثوم بن حبيب المرادي البصري

والذين اعتزلوا إلى جانب فلم يكونوا مع على رضى الله عنه في حروبه ولا مع خصومة وقالوا لا ندخل في غمار الفتنة بين الصحابة رضى الله عنهم عبد الله بن عمر وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال قيس بن أبى حازم كنت مع على رضى الله عنه في جميع أحواله وحروبه حتى قال في يوم صفين

انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله

فعرفت اى شيء كان يعتقد في الجماعة فاعتزلت عنه

الفصل الخامس
المرجئة
الارجاء على معنيين
أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى * (قالوا أرجه وأخاه) * اى امهله واخره
والثاني اعطاء الرجاء
اما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد
واما بالمعنى الثاني فظاهر فإنهم كانوا يقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر الطاعة
وقيل الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان
وقيل الارحاء تأخير على رضى الله عنه عن الدرجة الأولى إلى الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان والمرجئة أربعة أصناف رجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة ومحمد بن شبيب والصالحي والخالدى من مرجئة القدرية وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي أول من احدث القول بالقدر والارجاء ونحن انما نعد مقالات المرجئة الخالصة منهم

١ – اليونسية
أصحاب يونس بن عون النميري زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الايمان ولا يضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك الا إذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا
وزعم ان إبليس كان عارفا بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه * (أبى واستكبر وكان من الكافرين) * قال ومن تمكن في قلبه الخضوع لله والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه في معصية وإن صدرت منه معصية فلا تضره بيقينه واخلاصه والمؤمن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لا بعمله وطاعته
٢ – العبيدية
أصحاب عبيد المكتئب حكى عنه انه قال مادون الشرك مغفور لا محالة وان العبد إذا مات على توحيده لا يضره ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات وحكى اليمان عن عبيد المكتئب وأصحابه انهم قالوا ان علم الله تعالى لم يزل شيئا غيره وان كلامه لم يزل شيئا غيره وكذلك دين الله لم يزل شيئا غيره وزعم ان الله تعالى عن

قولهم على صورة انسان وحل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورة الرحمن

٣ – الغسانية

أصحاب غسان الكوفي زعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله والاقرار بما انزل الله وبما جاء به الرسول في الجملة دون التفصيل والإيمان لا يزيد ولا ينقص وزعم ان قائلا لو قال اعلم ان الله تعالى قد حرم أكل الخنزير لا أدري هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاة أم غيرها كان مؤمنا ولو قال أعلم أن الله تعالى فرض الحج إلى الكعبة غير انى لا ادرى اين الكعبة ولعلها بالهند كان مؤمنا ومقصوده ان أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الايمان لا انه كان شاكا في هذه الأمور فان عاقلا لا يستجيز من عقله ان يشك في ان الكعبة إلى اى جهة هي وان الفرق بين الخنزير والشاه ظاهر ومن العجيب ان غسان كان يحكى عن أبى حنيفة رحمه الله مثل مذهبه ويعده من المرجئة ولعله كذب كذلك عليه لعمري كان يقال لأبي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة ولعل السبب فيه انه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا انه يؤخر العمل عن الايمان والرجل مع تخريجه في العمل كيف يفتى بترك العمل وله سبب اخر وهو انه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا في الصدر الأول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئا وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد ان اللقب انما لزمه من فريقى المعتزلة والخوارج والله اعلم ١٤٢

٤ – الثوبانية
أصحاب أبى ثوبان المرجىء الذين زعموا ان الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام وبكل ما لا يجوز في العقل ان يفعله وما جاز في العقل تركه فليس من الايمان واخر العمل كله عن الايمان
ومن القائلين بمقالة أبى ثوبان هذا أبو مروان غبلان بن مروان الدمشقي وأبو شمر ومويس بن عمران والفضل الرقاشي ومحمد بن شبيب والعتابى وصالح قبة

وكان غيلان يقدر بالقدر خيره وشره من العبد وفى الإمامة انها تصلح في غير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها وانها لا تثبت الا باجماع الأمة والعجب ان الأمة أجمعت على انها لا تصلح لغير قريش وبهذا دفعت الأنصار عن قولهم منا أمير ومنكم أمير فقد جمع غيلان خصالا ثلاثا القدر والارجاء والخروج والجماعة التي عددناهم اتفقوا على ان الله تعالى لو عفا عن عاص في القيامة عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله وان اخرج من النار واحدا اخرج من هو في مثل حاله ومن العجب انهم لم يجزموا القول بان المؤمنين من أهل التوحيد يخرجون من النار لا محالة

ويحكى عن مقاتل بن سليمان ان المعصية لا تضر صاحب التوحيد والايمان وانه لا يدخل النار مؤمن والصحيح من النقل عنه ان المؤمن العاصي ربه يعذب يوم القيامة على الصراط وهو على متن جهنم يصيبه لفح النار وحرها ولهيبها فيتألم بذلك على قدر معصيته ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار

ونقل عن بشر بن غياث المريسي انه قال إذا دخل أصحاب الكبائر

النار فإنهم سيخرجون عنها بعد ان يعذبوا بذنوبهم واما التخليد فيها فمحال وليس بعدل وقيل ان أول من قال بالارجاء الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار الا انه ما اخر العمل عن الايمان كما قالت المرجئة اليونسية والعبيدية لكنه حكم بان صاحب الكبيرة لا يكفر إذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الايمان حتى يزول الايمان بزوالها

٥ – التومنية

أصحاب أبى معاذ التومنى زعم ان الايمان هو ما عصم من الكفر وهو اسم لحضال لاا تركها التارك كفر وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر ولا يقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية كبيرة أو صغيرة ل لم يجمع عليها المسلمون بأنها كفر لا يقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فسق وعصى قال وتلك الخصال هي المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول قال ومن ترك الصلاة والصيام مستحلا كفر ومن تركهما على نية القضاء لم يكفر ومن قتل نبيا أو لطمه كفر لا من اجل القتل واللطم ولكن من اجل الاستخفاف والعداوة والبغض

والى هذا المذهب ميل ابن الرواندى وبشر المريسي قالا الايمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا والكفر هوالجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصم ليس بكفر في نفسه ولكنه علامة الكفر

٦ – الصالحية
أصحاب صالح بن عمر الصالحي والصالحي ومحمد بن شبيب وأبو شمر وغيلان كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ونحن وان شرطنا ان نورد مذاهب المرجئة الخالصة الا انه بد لنا في هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة بأشياء
فاما الصالحي فقال الايمان هو المعرفة بالله تعالى على الاطلاق وهو ان للعالم صانعا فقط والكفر هو الجهل به على الاطلاق قال وقول القائل ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر الا من كافر وزعم ان معرفة الله تعالى هي المحبة والخضوع له ويصح ذلك مع حجة الرسول ويصح في العقل ان يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله غير ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد قال من لا يؤمن بي فليس بمؤمن بالله تعالى وزعم ان الصلاة ليست بعبادة الله تعالى وانه لا عبادة له الا الايمان به وهو معرفته وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص
واما أبو شمر المرجىء القدري فإنه زعم ان الايمان هو المعرفة بالله عز وجل والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به انه واحد ليس كمثله شئ مالم تقم عليه حجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإذا قامت الحجة فالاقرار بهم وتصديقهم من الايمان والمعرفة والاقرار بما جاءوا به من عند الله غير داخل في الايمان الأصلي وليست كل خصلة من خصال الايمان ايمانا ولا بعض ايمان فإذا اجتمعت كانت كلها ايمانا وشرط في خصال الايمان معرفة العدل يريد به القدر خيره وشره من العبد من غير ان يضاف إلى الباري تعالى منه شيء

واما غيلان بن مروان من القدرية المرجئة فإنه زعم ان الايمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة والخضوع له والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله والمعرفة الأولى فطرية ضرورية فالمعرفة على أصله نوعان فطرية وهى علمه بان للعالم صانعا ولنفسه خالقا وهذه المعرفة لا تسمى ايمانا انما الايمان هو المعرفة الثانية المكتسبة
تتمة رجال المرجئة كما نقل الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب وسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو ابن مرة ومحارب بن زياد ومقاتل بن سليمان وذر وعمرو بن ذر وحماد ابن أبى سليمان وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر وهؤلاء كلهم أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافا للخوارج والقدرية

الفصل السادس

الشيعة

الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية اما جليا واما خفيا واعتقدوا ان الإمامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيه من عنده وقالوا ليست الامامية قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهى ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام اغفاله واهماله ولا تفويضه إلى العامة وارساله

يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبري قولا وفعلا وعقدا الا في حال التقية

ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الامام كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط

وهم خمس فرق كيسانية وزيدية وامامية وغلاة واسماعيلية وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه

١ - الكيسانية

أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنيين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل تلمذ للسيد محمد بن الحنفية رضى الله عنه يعتقدون فيه اعتقادا فوق حده ودرجته من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس

ويجمعهم القول بان الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت فمن مقتصر على واحد معتقد انه لا يموت ولا يجوز ان يموت حتى يرجع ومن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة وكلهم حيارى متقطعون ومن اعتقد ان الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له نعوذ بالله من الحيرة والحور بعد الكور رب اهدنا السبيل

(١) المختارية

أصحاب المختار بن أبى عبيد الثقفي كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا

وكيسانيا قال بامامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين على رضى الله عنهما وقيل لا بل بعد الحسن والحسين رضى الله عنهما وكان يدعو الناس اليه وكان يظهر انه من رجاله ودعاته ويذكر علوما مزخرقة بترهاته ينوطها به

ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه واظهر لأصحابه انه انما نمس على الخلق ذلك ليتمشى امره ويجتمع الناس عليه

وانما انتظم له ما انتظم بأمرين أحدهما انتسابه إلى محمد بن الحنفية علما ودعوة والثاني قيامه بثأر الحسين بن على رضى الله عنهما واشتغاله ليلا ونهارا بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين

فمن مذهب المختار انه يجوز البداء على الله تعالى والبداء له معان البداء في العلم وهو انه يظهر له خلاف ما علم ولا أظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد

والبداء في الإرادة وهو ان يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم
والبداء في الامر وهو ان يأمر بشيء ثم يأمر بشيء اخر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن ان الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة
وانما سار المختار إلى اختيار القول بالبداء لأنه كان يدعى علم ما يحدث من الأحوال اما بوحي يوحى اليه واما برسالة من قبل الامام فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليل على صدق دعواه وان لم يوافق قال قد بدى لربكم وكان لا يفرق بين النسخ والبداء قال إذا جاز النسخ في الاحكام جاز البداء في الاخبار
وقد قيل ان السيد محمد بن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل اليه انه قد لبس على الناس انه من دعاته ورجاله وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة والمخاريق المموهة
فمن مخاريقه انه كان عنده كرسي قديم غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال هذا من ذخائر أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو عندنا بمنزلة التابوت لبنى إسرائيل وكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بنى إسرائيل وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم وحديث الحمامات البيض التي ظهرت في الهواء وقد أخبرهم قبل ذلك بان الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض معروف والاسجاع التي الفاها أبرد تأليف مشهورة
وانما حمله على الانتساب إلى محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بمحبته والسيد محمد بن الحنفية كان الكثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر في العواقب وقد اخبره أمير المؤمنين على رضى الله عنه عن أحوال الملاحم

واطلعه على مدارج المعالم وقد اختار العزلة فاثر الخمول على الشهرة وقد قيل انه كان مستودعا علم الإمامة حتى سلم الأمانة إلى أهلها وما فارق الدنيا الا وقد أقرها في مستقرها

وكان السيد الحميري وكثير عزة الشاعر من شيعته قال كثير فيه

الا ان الأئمة من قريش * ولاة الحق أربعة سوء
على والثلاثة من بنيه * وهم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري أيضا يعتقد فيه انه في لم يمت وانه جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وانه يعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهذا هو أول حكم بالغيبة والعودة بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك في بعض الجماعة حتى اعتقدوه دينا وركنا من أركان التشيع

ثم اختلفت الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية في سوق الإمامة وصار كل اختلاف مذهبا

ب – الهاشمية

اتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه وانتقال الإمامة منه إلى ابنه أبي هاشم قالوا فإنه افضى اليه اسرار العلوم واطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس وتقدير التنزيل على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن قالوا ان لكل ظاهر باطنا ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم والمنتشر في الآفاق من الحكم

١ والأسرار يجتمع في الشخص الإنساني وهو العلم الذي استأثر علي رضي الله عنه به ابنه محمد بن الحنفية وهو افضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقا واختلفت بعد أبي هاشم شيعته خمس فرق ١ فرقة قالت ان أبي هاشم مات منصرفا من الشام بأرض الشراة وأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وانجرت في أولاده الوصية حتى صارت الخلافة إلى بني العباس قالوا ولهم في الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه العباس أولى بالوراثة ٢ وفرقة قالت ان الإمامة بعد موت أبي هاشم لابن أخيه الحسن بن علي ابن محمد بن الحنفية ٣ وفرقة قالت لا بل ان ابا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد وعلي أوصى إلى ابنه الحسن فالامامة عندهم في بني الحنفية لا تخرج إلى غيرهم ٤ وفرقة قالت ان ابا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن الكندي وان الإمامة خرجت من اني هاشم إلى عبد الله وتحولت روح أبي هاشم اليه والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانه فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فاعرضوا عنه وقالوا بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وكان من مذهب عبد الله ان الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وان الثواب والعقاب في هذه الأشخاص اما اشخاص بني ادم واما اشخاص الحيوانات قال وروح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه وادعى الإلهية والنبوة معا وانه يعلم الغيب فعبده شيعته الحمقى وكفروا بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الأشخاص وتأول قول الله تعالى * (ليس على الذين آمنوا

وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا) *
الآية على ان من وصل إلى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل إلى الكمال والبلاغ وعنه نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه فمنهم من قال انه حي لم يمت ويرجع ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه إلى إسحاق بن زيد الحارث الأنصاري وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه وبين أصحاب عبد الله بن معاوية وبين أصحاب محمد بن علي خلاف شديد في الإمامة فإن كل واحد منهما يدعي الوصية من أبي هاشم اليه ولم يثبت الوصية على قاعدة معتمدة
((ج) البيانية اتباع بيان بن سمعان التميمي قالوا بانتقال الإمامة من بني هاشم اليه وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال حل في علي جزء الهي واتحد يحسده فبه كان يعلم الغيب إذ اخبر عن الملاحم وصح الخبر وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر وبه قلع باب خيبر وعن هذا قال والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة رحمانية ملكوتية بنور ربها مضيئة فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة والنور الإلهي كالنور في المصباح قال وربما يظهر علي في بعض الأزمان وقال في تفسير قوله تعالى * (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) * أراد به عليا فهو الذي يأتي في الظلل والرعد صوته والبرق تبسمه ثم ادعى بيان انه قد انتقل اليه الجزء الإلهي بنوع من التناسخ ولذلك استحق ان

يكون اماما وخليفة وذلك الجزء هو الذي استحق به ادم عليه السلام سجود الملائكة وزغم ان معبوده على صورة انسان عضوا فعضوا وجزءا فجزءا وقال يهلك كله الا وجهه لقوله تعالى * (كل شيء هالك إلا وجهه) * ومع هذا الخزي الفاحش كتب إلى محمد بن علي بن الباقر رضي الله عنهم ودعاه إلى نفسه وفي كتابه اسلم تسلم ويرتقي من سلم فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة فامر الباقر ان يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به فأكله فمات في الحال وكان اسم ذلك الرسول عمر بن أبي عفيف وقد اجتمعت طائفة على بيان بن سمعان ودانوا به وبمذهبه فقتله خالد بن عبد الله القسري على ذلك وقيل احرقه والكوفي المعروف بالمعروف بن سعيد بالنار معا

((د) الرزامية اتباع رزام بن رزم ساقوا الإمامة من علي إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه هاشم ثم منه إلى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم ساقوها إلى محمد بن علي وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم الامام وهو صاحب أبي مسلم الذي دعا اليه وقال بإمامته

وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم حتى قيل إن أبا مسلم كان على هذا المذهب لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبي مسلم فقالوا له حظ في الإمامة وادعوا حلول روح الإله فيه ولهذا أيده على بني أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم واصطلمهم وقالوا بتناسخ الأرواح

والمقنع الذي ادعى الإلهية لنفسه على مخاريق أخرجها كان في الأول على هذا المذهب وتابعه مبيضه ما وراء النهر وهؤلاء صنف من الخرامية دانوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الإمام فقط ومنهم من قال الدين أمران معرفة الإمام وأداء الأمانة ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى الكمال وارتفع عنه التكليف ومن هؤلاء من ساق الإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أبي هاشم محمد بن الحنفية وصية إليه لا من طريق آخر

وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في الأول واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم فكان يطلب المستقر فيه فبعث إلى الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهما إني قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت فإن رغبت فيه فلا مزيد عليك

فكتب إليه الصادق رضي الله عنه ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني فحاد أبو مسلم إلى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح وقلده أمر الخلافة

٢٠ – الزيدية

أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يجوزا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة سواء كان

من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما وعن هذا جوز قوم منهم إمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا على ذلك وجوزا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة

وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال الألتع رأس المعتزلة ورئيسهم مع اعتقاد واصل أن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام ما كان على يقين من الصواب وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه فاقتبس منه الاعتزال وصارت أصحابه كلهم معتزلة وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل فقال كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبا وسيف أمير المؤمنين علي عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظا غليظا فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لشدته وصلابته وغلظة في الدين وفظاظته على الأعداء حتى سكنهم أبو بكر بقوله لو سألني ربي لقلت وليت عليهم خيرهم لهم وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائم فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة

وجرت بينه وبين أخيه الباقر محمد بن علي مناظرات لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين ومن حيث يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطا في كون الإمام إماما حتى قال له يوما على مقتضى مذهبك والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد بأنه يقتل كما قتل أبوه ويصلب كما صلب أبوه فجرى عليه الأمر كما أخبر

وقد فوض الأمر بعده إلى محمد وإبراهيم الإمامين وخرجا بالمدينة ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليهما وقتلا أيضا وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم وعرفهم أن آباءه رضي الله عنهم أخبروه بذلك كله وأن بني أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض أهل البيت ولا يجوز ان يخرج واحد من أهل بيته حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم وكان يشير إلى أبي العباس وإلى أبي جعفر ابني محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقال إنا لا نخوض في الأمر حتى يتلاعب به هذا وأولاده وأشار إلى المنصور فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة قتله هشام بن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها ومحمد الإمام قتل بالمدينة قتله عيسى بن ماهان وإبراهيم الامام قتل بالبصرة أمر بقتلهما المنصور

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان صاحبهم ناصر الأطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الأمر وصار إلى بلاد الديلم والجبل ولم يتحلوا بدين الإسلام بعد فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشئوا عليه وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين

وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة وبلى أمرهم وخالفوا بني أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الإمامية وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد

(١) الجارودية

أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص

على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية وهو الإمام بعده والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد بن علي فإنه لم يعتقد هذا الإعتقاد

واختلفت الجارودية في التوقف والسوق

فساق بعضهم الإمامة من علي إلى حسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين زين العابدين ثم إلى ابنه زيد بن علي ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقالوا بإمامته

وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الأمر إلى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس وقيل إنه إنما بايع محمد بن عبد الله الإمام في أيام المنصور ولما قتل محمد بالمدينة بقي الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت فرفع حاله إلى المنصور فتم عليه ما تم

والذين قالوا بإمامة محمد بن عبد الله الإمام اختلفوا فمنهم من قال إنه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج فيملأ الأرض عدلا ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة إلى محمد ابن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي صاحب الطالقان وقد أسر في أيام المعتصم وحمل اليه فحبسه في داره حتى مات ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر حتى قال فيه بعض العلوية

قتلت أعز من ركب المطايا * وجئتك استلينك في الكلام
وعز علي أن ألقاك إلا * وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي

وأما أبو الجارود فكان يسمى سرحوب سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر قاله الباقر تفسيرا

ومن أصحاب أبي الجارود فضل الرسان وأبو خالد الواسطي وهم مختلفون في الأحكام والسير فبعضهم يزعم أن علم ولد الحسن والحسين رضي الله عنهما كعلم النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة

((ب) السليمانية

أصحاب سليمان بن جرير وكان يقول أن الإمامة شورى فيما بين الخلق ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين وإنها تصح في المفضول مع وجود الأفضل وأثبت إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حقا باختيار الأمة حقا اجتهاديا وربما كان يقول ان الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي رضي الله عنه خطأ لا يبلغ درجة

الفسق وذلك الخطأ خطأ اجتهادي غير أنه طعن في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي أحدثها وأكفره بذلك وأكفر عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم بإقدامهم على قتال علي رضي الله عنه ثم إنه طعن في الرافضة فقال ان أئمة الرافضة قد وضعوا مقاتلين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم
إحداهما القول بالبداء فإذا أظهروا قولا انه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر على ما أظهروه قالوا بدا الله تعالى في ذلك
والثانية التقية فكل ما أرادوا تكلموا به فإذا قيل لهم في ذلك إنه ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا إنما قلناه تقية وفعلناه تقية
وتابعه على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة منهم جعفر ابن مبشر وجعفر بن حرب وكثير النوى وهو من أصحاب الحديث قالوا الإمامة من مصالح الدين ليس يحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده فإن ذلك حاصل بالعقل لكنها يحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء بين المتحاكمين وولاية اليتامى والأيامى وحفظ البيضة وإعلاء الكلمة ونصب القتال مع أعداء الدين وحتى يكون للمسلمين جماعة ولا يكون الأمر فوضى بين العامة فلا يشترط فيها أن يكون الإمام أفضل الأمة علما وأقدمهم عهدا وأسدهم رأيا وحكمة إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل ومالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك حتى جوزا أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الإجتهاد ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل الإجتهاد فيراجعه في الأحكام ويستفتي منه في الحلال والحرام ويجب أن يكون في الجملة ذا رأي متين وبصر في الحوادث نافذ

(ج) الصالحية والبترية
الصالحية أصحاب الحسن بن صالح بن حي والبترية أصحاب كثيرالنوى الأبتر وهما متفقان في المذهب وقولهم في الإمامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر قالوا إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب أن يحكم بصحة اسلامه وايمانه وكونه من أهل الجنة وإذا رأينا الأحداث التي أحدثها من استهتاره بتربية بني أمية وبني مروان واستبداده بأمور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب أن نحكم بكفره فتحيرنا في أمره وتوقفنا في حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين
واما علي فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالإمامة لكنه سلم الأمر لهم راضيا وفوض الأمر إليهم طائعا وترك حقه راغبا فنحن راضون بما رضي مسلمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك
ولو لم يرض علي بذلك لكان أبو بكر هالكا وهم الذين جوزا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الفاضل راضيا بذلك
وقالوا من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين رضي الله عنهما وكان عالما زاهدا شجاعا فهو الإمام وشرط بعضهم صباحة الوجه ولهم خبط عظيم في إمامين وجدت فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفيهما ينظر إلى الأفضل والأزهد وإن تساويا ينظر إلى الأمتن رأيا والأحزم أمرا وإن تساويا تقابلا فينقلب الأمر عليهم كلا ويعود الطلب جذعا والامام مأموما والأمير مأمورا ولو كانا في قطرين انفرد كل واحد منهما

بقطره ويكون واجب الطاعة في قومه ولو أفتى أحدهما بخلاف ما يفتي الآخر كان كل واحد منهما مصيبا وان أفتى باستحلال دم الإمام الآخر
وأكثرهم في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمه الله والشيعة
رجال الزيدية
أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي لعنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه
والحسن بن صالح بن بن ومقاتل بن سليمان والداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد ين عمر بن الحسين بن علي والداعي الآخر صاحب طبرستان الحسن ابن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ومحمد بن نصر
٣ – الإمامية
هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي علبه الصلاة والسلام نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة اليه بالعين قالوا وما كان في الدين والإسلام امر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من امر الأمة فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره بل يجب أن يعين شخصا هوالمرجوع اليه وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه وقد عين عليا رضي الله عنه في مواضع تعريضا وفي مواضع تصريحا

أما تعريضاته فمثل أن يبعث ابا بكر ليقرأ سورة براءة على الناس في المشهد وبعث بعده عليا ليكون هو القارئ عليهم والمبلغ عنه إليهم وقال نزل علي جبريل عليه السلام فقال يبلغه رجل منك أو قال من قومك وهو يدل على تقديمه عليا عليه ومثل أن كان يؤمر على أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة في البعوث وقد أمر عليهما عمرو بن العاص في بعث وأسامة بن زيد في بعث وما أمر على علي أحدا قط

وأما تصريحاته فمثل ما جرى في نأنأة الإسلام حين قال من الذي يبايعني على ماله فبايعته جماعة ثم قال من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يده اليه فبايعه على روحه ووفى بذلك حتى كانت قريش تعير أبا طالب انه امر عليك ابنك ومثل ما جرى في كمال الاسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى * (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) * فلما وصل غدير خم امر بالدوحات فقممن ونادوا الصلاة جامعة ثم قال عليه الصلاة والسلام وهو على الرحال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار الا هل بلغت ثلاثا فادعت الإمامية أن هذا نص صريح

فإننا ننظر من كان النبي صلى الله عليه وسلم مولى له وبأي معنى فنطرد ذلك في حق علي رضي الله عنه وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه حتى قال عمر حين استقبل عليا طوبى لك يا علي أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة

قالوا وقول النبي عليه الصلاة والسلام أقضاكم علي نص في الإمامة فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون اقضى القضاة في كل حادثة والحاكم على المتخاصمين في كل واقعة وهو معنى قول الله سبحانه وتعالى * (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

منكم) * قالوا فأولوا الأمر من اليه القضاء والحكم حتى وفي مسألة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والأنصار كان القاضي في ذلك هو أمير المؤمنين على دون غيره فإن النبي صلى الله عليه وسلم كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له فقال أفرضكم زيد واقرؤكم أبي وأعرفكم في الحلال والحرام معاذ وكذلك حكم لعلي بأخص وصف له وهو قوله أقضاكم علي والقضاء يستدعي كل علم وليس كل علم يستدعي القضاء

ثم إن الإمامية تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة في كبار الصحابة طعنا وتكفيرا وأقله ظلما وعدوانا وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم قال الله تعالى * (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) * وكانوا إذ ذاك ألفا وأربعمائة وقال الله ثناء على المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم باحسان رضي الله عنهم * (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) * وقال * (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) * وقال تعالى * (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) * وفي ذلك دليل على عظمة قدرهم عند الله تعالى وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم فليت شعري كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام عشرة من أصحابي في الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في حق كل واحد

منهم على الانفراد وإن نقلت هنات من بعضهم فليتدبر النقل فإن أكاذيب الروافض كثيرة وأحداث المحدثين كثيرة

ثم إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين رضي الله عنهم على رأي واحد بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها حتى قال بعضهم أن نيفا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة وهم متفقون في الإمامة وسوقها إلى جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه ومختلفون في المنصوص عليه بعده من أولاده إذ كانت له خمسة أولاد وقيل ستة محمد واسحق وعبد الله وموسى وإسماعيل وعلي ومن ادعى منهم النص والتعيين محمد وعبد الله وموسى وإسماعيل ثم منهم من مات ولم يعقب ومنهم من مات واعقب ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة ومنهم من قال بالسوق والتعدية كما سيأتي ذكر اختلافاتهم عند ذكر طائفة طائفة

وكانوا في الأول على مذهب أئمتهم في الأصول ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان اختارت كل فرقة منهم طريقة فصارت الإمامية بعضها معتزلة إما وعيدية وإما تفضيلية وبعضها اخبارية إما مشبهة وإما سلفية ومن ضل الطريق وتاه لم يبال الله به في أي واد هلك

الباقرية والجعفرية الواقفة

أتباع محمد ابن الباقر ابن علي زين العابدين وابنه جعفر الصادق قالوا بإمامتبهما وإمامة والدهما زين العابدين الا أن منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الإمامة إلى أولادهما ومنهم من ساق وإنما ميزنا هذه الفرقة دون الأصناف المتشيعة التي نذكرها لأن من الشيعة من توقف على الباقر وقال برجعته كما توقف القائلون بأمامة

أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات
وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليها ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ثم دخل العراق واقام بها مدة ما تعرض للأمامة قط ولا نازع أحدا في الخلافة قط ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط وقيل من أنس بالله توحش عن الناس ومن استأنس بغير الله نهيه الوسواس وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة ومن جانب الأم ينتسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد تبرأ عما كان ينسب اليه بعض الغلاة وبرىء منهم ولعنهم وبرىء من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبداء والتناسخ والحلول والتشبيه لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهبا وأراد ان يروجه على أصحابه فنسبه اليه وربطه به والسيد بريء من ذلك ومن الاعتزال والقدر أيضا هذا قوله في الإرادة ان الله تعالى أراد بنا شيئا وأراد منا شيئا فما اراده بنا طواه عنا وما اراده منا أظهره لنا فما بالنا تشتغل بما اراده بنا عما اراده منا وهذا قوله في القدر هو أمر بين امرين لا جبر ولا تفويض وكان يقول في الدعاء اللهم لك لحمد ان أطعتك ولك الحجة ان عصيتك لا صنع لي ولا لغيري في احسان ولا حجة لي ولا لغيري في إساءة
فنذكر الأصناف الذين اختلفوا منه ونعدهم لا على أنهم من تفاصيل اشياعة بل على انهم منتسبون إلى أصل شجرته وفروع أولاده ليعلم ذلك
ب – الناووسية
اتباع رجل يقال له ناووس وقيل نسبوا إلى قرية ناووسا قالت ان الصادق حي بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي ورووا عنه

أنه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فإني صاحبكم صاحب السيف
حكى أبو حامد الزوزني ان الناووسية زعمت ان عليا باق وستنشق الأرض عنه يوم القيامة فيملاء الأرض عدلا
ج الأفطحية
قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمها وأهمهما فاطمة بن الحسين بنت الحسن بن على وكان اسن أولاد الصادق زعموا انه قال الامام في أكبر أولاد الأئمة وقال الامام من يجلس مجلسي وهو الذي يجلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلى عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام وهو الذي تولى ذلك كله ودفع الصادق وديعة إلى بعض أصحابه وأمره ان يدفعها إلى من يطلبها منه وان يتخذه اماما وما طلبها منه أحد الا عبد الله ومع ذلك ما عاش بعد أبيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولدا ذكرا
د الشميطية
اتباع يحيى بن أبى شميط قالوا ان جعفرا قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده رضوان الله عليهما ان ولد لك ولد فسميته باسمي فهو الامام فالامام بعده ابنه محمد
ه الإسماعيلية الواقفة
قالوا ان الامام بعد جعفر إسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه فمنهم من قال من يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس وانه عقد محضرا واشهد عليه عامل المنصور بالمدينة

ومنهم من قال موته صحيح والنص لا يرجع قهقية والفائدة في النمص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم فالامام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيسل وقال برجعته بعد غيبته ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية وسنذكر مذاهبهم على الانفراد وانما مذهب هذه الفرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر أو محمد بن إسماعيل والإسماعيلية المشهورة في الفرق منهم هم الباطنية التعليمة الذين لهم مقالة مفردة

و الموسوية والمفضلية

فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه بالاسم حيث قال الصادق رضى الله عنه سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الا وهو سمي صاحب التوراة

ولما رأت الشيعة ان أولاد الصادق على تفرق فمن ميت في حال حياة أبيه ولم يعقب ومن مختلف في موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ومن ميت غير معقب وكان موسى هو الذي تولى الامر وقام به بعد موت أبيه رجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمر وزرارة بن أعين وعمار الساباطي

وروت الموسوية عن الصادق رضى الله عنه انه قال لبعض أصحابه عد الأيام فعدها من الاحد حتى بلغ السبت فقا ل له كم عددته فقال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور ومن لا يلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا وأشار إلى ولده موسى الكاظم وقال فيه أيضا انه شبيه بعيسى عليه السلام

ثم ان موسى لما خرج واظهر الامام حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى

ابن جعفر ثم اشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندي بن شاهك وقيل ان يحيى بن خالد ابن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس ثم اخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد واختلفت الشيعة بعده

فمنهم من توقف في موته وقال لا ندري أمات أم لم يمت ويقال لهم الممطورة ما هم بذلك على بن إسماعيل فقال ما أنتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطيعة ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفة

ز الاثنا عشرية

ان الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسموا قطيعة ساقوا الإمامة بعده في أولاده فقالوا الامام بعد ممسى الكاظم ولده على الرضى ومشهده بطوس ثم بعده محمد التقى الجواد أيضا وهو في مقابر قريش ببغداد ثم بعده على ابن محمد النقى ومشهده بقم وبعده الحسن العسكري الزكي وبعده ابنه محمد القائم المنتظر الذي هو بسر من رأى وهو الثاني عشر هذا هو طريق الاثنا عشرية في زماننا

الا ان الاختلافات التي وقعت في حال كل واحد من هؤلاء الاثنا عشر والمنازعات التي جرت بينهم وبين اخوتهم وبنى أعمامهم وجب ذكرها لئلا يشذ عنا مذهب لم نذكره ومقالة لم نوردها

فاعلم ان من الشيعة من قال بامامة احمد بن موسى بن جعفر دون أخيه على الرضى ومن قال بعلى شك أولا في محمد بن على إذ مات أبوه وهو صغير غير مستحق للإمامة ولا علم عنده بمناهجها وثبت قوم على إمامته واختلفوا بعد موته أيضا فقال قوم بامامة

موسى بن محمد وقال قوم آخرون بامامة على بن محمد ويقولون هو العسكري واختلفوا بعد موته أيضا فقال قوم بامامة جعفر بن على وقال قوم بامامة محمد بن على وقال قوم بامامة الحسن بن على وكان لهم رئيس يقال له على بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام قوى أسباب جعفر بن على وامال الناس اليه واعانه فارس بن حاتم ابن ماهوية وذلك ان عليا قد مات وخلف الحسن العسكري قالوا امتحنا الحسن فلم نجد عنده علما ولقبوا من قال بامامة الحسن الحمارية وقووا امر جعفر بعد موت الحسن واحتجوا بان الحسن مات بلا خلف فبطلت إمامته ولأنه لم يعقب والامام لا يموت الا ويكون له خلف وعقب وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعاوى ادعاها عليه انه فعل ذلك في حبل في جواريه وغيرهم وانكشف امره عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من قال بامامة الحسن وتفرقوا أصنافا كثيرة فثبتت هذه الفرقة على امامة جعفر ورجع إليهم كثير ممن قال بامامة الحسن منهم الحسن بن على ابن فضال وهو من اجل أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث ثم قالوا بعد جعفر بعلى بن جعفر وفاطمة بنت على أخت جعفر وقال قوم بامامة على بن جعفر دون فاطمة السيدة ثم اختلفوا بعد موت على وفاطمة اختلافا كثيرا وغلا بعضهم في الإمامة غلوا كأبى الخطاب الأسدي

واما الذين قالوا بامامة الحسن فافترقوا بعد موته احدى عشرة فرقة وليست لهم ألقاب مشهورة ولكنا نذكر أقاويلهم

الفرقة الأولى قالت ان الحسن لم يمت وهو القائم ولا يجوز ان يموت ولا ولد له ظاهرا لان الأرض لا تخلو من امام وقد ثبت عندنا ان القائم له غيبتان وهذه احدى الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة أخرى

الثانية قالت ان الحسن مات ولكنه يحيا وهو القائم لان رأينا ان معنى القائم هو القيام بعد الموت فنقطع بموت الحسن ولا نشك فيه ولا ولد له فيجب ان يحيا بعد الموت

الثالة قالت ان الحسن قد مات وأوصى إلى جعفر أخيه ورجعت الإمامة إلى جعفر
الرابعة قالت ان الحسن قد مات والامام جعفر وانا كنا مخطئين في الائتمام به إذ لم يكن اماما فلما مات ولا عقب له تبينا ان جعفر كان محقا في دعواه والحسن مبطلا
الخامسة قالت ان الحسن قد مات وكنا مخطئين في القول به وان الامام كان محمد بن على أخا الحسن وجعفر ولما ظهر لنا فسق جعفر واعلانه به وعلمنا ان الحسن كان على مثل حاله الا انه كان يتستر عرفنا انهما لم يكونا امامين فرجعنا إلى محمد ووجدنا له عقبا وعرفنا انه كان هو الامام دون أخويه
السادسة قالت ان الحسن كان له ابن وليس الامر على ما ذكروا انه مات ولم يعقب بل ولد له ولد قبل وفاة أبيه بسنتين فاستتر خوفا من جعفر وغيره من الأعداء واسمه محمد وهو الامام القائم الحجة المنتظر
السابعة قالت ان له ابنا ولكنه ولد بعد موته بثمانية اشهر وقول من ادعى انه مات وله ابن باطل لان ذلك لو كان لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان
الثامنة قالت صحت وفاة الحسن وصح ان لا ولد له وبطل ما ادعى من الحيل في سرية له فثبت ان الامام بعد الحسن غير موجود وهو جائز في المعقولات ان يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم وهى فترة وزمان لا امام فيه والأرض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
التاسعة قالت ان الحسن قد مات وصح موته وقد اختلف الناس هذه الاختلافات ولا ندري كيف هو ولا نشك انه قد ولد له ابن ولا ندري قبل موته أو بعد موته الا ان نعلم يقينا ان الأرض لا تخلو من حجة وهو الخلف الغائب فنحن نتولاه ونتمسك به باسمه حتى يظهر بصورته

العاشرة قالت ان الحسن قد مات ولا بد للناس من امام فلا تخلو الأرض من حجة ولا ندري من ولده أم من ولد غيره
الحادية عشرة فرقة توقفت في هذا التخابط وقالت لا ندري على القطع حقيقة الحال لكنا نقطع في الرضا ونقول بإمامته وفى كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفة في ذلك إلى ان يظهر الله الحجة ويظهر بصورته فلا يشك في إمامته من ابصره ولا يحتاج إلى معجزة وكرامة وبين بل معجزته اتباع الناس بأسرهم إياه من غير منازعة ولا مدافعة
فهذه جملة الفرق الاحدى عشرة قطعوا على كل واحد واحدا ثم قطعوا على الكل بأسرهم
ومن العجب انهم قالوا الغيبة قد امتدت مائتين ونيفا وخمسين سنة وصاحبنا قال ان خرج القائم وقد طعن في الأربعين فليس بصاحبكم ولسنا ندري كيف تنقضى مائتان ونيف وخمسون سنة في أربعين سنة وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف تتصور قالوا أليس الخضر والياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف سنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب فلم لا يجوز ذلك في واحد من آل البيت قيل لهم ومع اختلافكم هذا كيف يصح لكم دعوى الغيبة ثم الخضر عليه السلام ليس مكلفا بضمان جماعة والامام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل والجماعة مكلفون بالاقتداء به والاستنان بسنته ومن لا يرى كيف يقتدى به
فلهذا صارت الامامية متمسكين بالعدلية في الأصول وبالمشبهة في الصفات متحيرين تائهين
وبين الاخبارية منهم والكلامية سيف وتكفير وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل أعاذنا الله من الحيرة
ومن العجب ان القائلين بامامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم الذي بينت

لا يستحيون فيدعون فيه احكام الإلهية ويتأولون قوله تعالى عليه * (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) *
قالوا هو الامام المنتظر الذي يرد اليه علم الساعة ويدعون فيه انه لا يغيب عنا وسيخبرنا باحوالنا حين يحاسب الخلق إلى تحكمات باردة وكلمات عن العقول شاردة

لقد طفت في تلك المعاهد كلها * وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر * على ذقن أو قارعا سن نادم

أسامي الأئمة الاثني عشر عند الامامية المرتضى والمجتبى والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضى والتقى والنقى والزكى والحجة القائم المنتظر

٤ – الغالية

هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية وحكموا فيهم باحكام الإلهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت باحكام الإلهية في حق بعض الأئمة وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة وانما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا ان ذلك أقرب إلى المعقول وابعد من التشبيه والحلول وبدع الغلاة محصورة في اربع التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ ولهم

ألقاب وبكل بلد لقب فيقال بأصبهان الخرمية والكوذية وبالرى المزدكية والسنباذية وباذربيجان الدقولية وبموضع المحمرة وبما وراء النهر المبيضة

وهم أحد عشر صنفا

(ا) السبائية

أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه أنت أنت يعنى أنت الاله فنفاه إلى المدائن زعموا انه كان يهوديا فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصى موسى عليهما السلام مثل ما قال في على رضى الله عنه وهو أول من اظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة

زعم ان عليا حي لم يمت ففيه الجزء الإلهي ولا يجوز ان يستولى عليه وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق تبسمه وانه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا

وانما اظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال على رضى الله عنه واجتمعت عليه جماعة وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة وقالت يتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد على رضى الله عنه قال وهذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة وان كانوا على خلاف مراده هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول فيه حين فقأ عين واحد بالحد في الحرم ورفعت القصة اليه ماذا أقول في يد الله فقأت عينا في حرم الله فأطلق عمر اسم الإلهية عليه لما عرف منه ذلك

ب الكاملية

أصحاب أبى كامل اكفر جميع الصحابة بتركها بيعة على رضى الله عنه وطعن في على أيضا بتركه طلب حقه ولم يعذره في القعود قال وكان عليه ان يخرج ويظهر الحق على انه غلا في حقه وكان يقول الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص

وذلك النور في شخص يكون نبوة وفى شخص يكون امامة وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت
والغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل ملة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة الصائبة
ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر في كل شخص من اشخاص البشر وذلك بمعنى الحلول
وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل اما الحلول بجزء فهو كاشراق الشمس في كوة أو كاشراقها على البلور
اما الحلول بكل فهو كظهور ملك بشخص أو شيطان بحيوان
ومراتب التناسخ أربعة النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وسيأتي شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل واعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة وأسفل المراتب الشيطانية أو الجنية
وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهرا من غير تفصيل مذهبهم
ج العلبائية
أصحاب العلياء بن ذراع الدوسي وقال قوم هو الأسدي وكان يفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم وزعم انه بعث محمدا يعنى عليا وسماه الها وكان يقول بذم محمد صلى الله عليه وسلم وزعم انه بعث ليدعوا إلى علي فدعا إلى نفسه ويسمون هذه الفرقة الذميمة
ومنهم من قال بالهيتهما جميعا ويقدمون عليا في احكام الإلهية وسيمونهم العينية ومنهم من أقال بإلهيتها جميعا ويفضلون محمدا في الإلهية ويسمونهم الميمنة ومنهم من قال بالإلهية لجملة اشخاص أصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمستهم شيء واحد والروح حالت فيهم بالسوية لا فضل لواحد

منهم على الاخر وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم بلا هاء وفى ذلك يقول بعض شعرائهم

توليت بعد الله في الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

د المغيرية

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ادعى ان الإمامة بعد محمد بن على بن الحسين في محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم انه حي لم يمت

وكان الغيرة مولى لخالد بن عبد الله القصري وادعى الإمامة لنفسه بعد الامام محمد

وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه واستحل المحارم وغلى في حق على رضى الله عنه غلوا لا يعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه فقال ان الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة وزعم ان الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجا قال وذلك قوله * (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى) * ثم اطلع على اعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصي فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والاخر عذب والمالح مظلم والعذب نير ثم اطلع في البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وافنى باقي ظله وقال لا ينبغي ان يكون معي اله غيرى قال ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق المؤمنون من البحر النير وخلق الكفار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس أول ما خلق وأول ما خلق هو ظل محمد عليه الصلاة والسلام وظل على قبل خلق ظلال الكل ثم عرض على السماوات والأرض والجبال ان يحملن الأمانة وهى ان يمنعن على بن أبى طالب من الإمامة فابين ذلك ثم عرض ذلك على الناس فأمر عمر بن الخطاب ابا بكر ان يتحمل منعه من ذلك وضمن له ان يعينه على الغدر به على شرط ان يجعل الخلافة له من بعده فقبل منه واقدما على المنع متظاهرين فذلك قوله تعالى * (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) * وزعم انه نزل في حق عمر قوله تعالى * (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) *

ولما ان قتل المغيرة اختلف أصحابه فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار امامة محمد كما كان يقول هو بانتظاره وقد قال المغيرة بامامة أبى جعفر محمد

ابن على رضى الله عنهما ثم غلا فيه وقال بالهيته فتبرأ منه الباقر ولعنه وقد قال المغيرة لأصحابه انتظروه فإنه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام وزعم انه يحيى الموتى

(٥) المنصورية

أصحاب أبى منصور العجلي وهو الذي عزا نفسه إلى أبى جعفر محمد بن على الباقر في الأول فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم انه هو الامام ودعا الناس إلى نفسه ولما توفى الباقر قال انتقلت الإمامة إلى وتظاهر بذلك وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بنى كندة

حتى وقف يوسف بن عمر الثقفي والى العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه زعم أبو منصور العجلي ان عليا رضى الله عنه هو الكسف الساقط من السماء وربما قال من الكسف الساقط من السماء هو الله تعالى وزعم حين ادعى الإمامة لنفسه انه عرج به إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال با بنى انزل فبلغ عنى ثم أهبطه إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء

وزعم أيضا ان الرسل لا تنقطع ابدا والرسالة لا تنقطع وزعم ان الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو امام الوقت وان النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الامام وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم واستحل أصحابه قتل مخالفيهم واخذ أموالهم واستحلال نسائهم وهم صنف من الخرمية وانما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال هو ان من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع الخطاب إذ قد وصل إلى الجنة وبلغ الكمال

ومما أبدعه العجلي انه قال ان أول ما خلق الله تعالى هو عيسى بن مريم عليه السلام ثم على بن أبى طالب كرم الله وجهه

(و) الخطابية

أصحاب أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدي الأجدع مولى بنى أسد وهو الذي عزا نفسه إلى أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وامر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه

زعم أبو الحطاب ان الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بإلهية جعقر بن محمد والهية آبائه رضى الله عنهم وهم أبناء الله وأحباؤه والإلهية نور في النبوة والنبوة نور

في الإمامة ولا يخلوا العالم من هذه الآثار والأنوار وزعم ان جعفرا هو الاله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها

ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقا

فزعمت فرقة ان الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له معمر ودانو به كما دانوا بأبي الخطاب وزعموا ان الدنيا لا تفنى وان الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وان النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة المعمرية

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب بزيغ وكان يزعم ان جعفرا هو الاله اي ظهر الاله بصورته للخلق وزعم ان كل مؤمن يوحى اليه من الله تأويل قول الله تعالى * (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) * أي يوحى اليه من الله وكذلك قوله تعالى * (وأوحى ربك إلى النحل) * وزعم ان من أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل وزعم ان الانسان إذا بلغ الكمال لا يقال له انه قد مات ولكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل رجع إلى الملكوت وادعوا كلهم معاينة أمواتهم وزعموا انهم يرونهم بكرة وعشية وتسمى هذه الطائفة البزيغية

وزعمت طائفة ان الامام بعد أبي الخطاب عمير بن بيان العجلي وقالوا كما قالت الطائفة الأولى الا انهم اعترفوا انهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق رضي الله عنه فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميرا فصلبه في كناسة الكوفة وتسمى هذه الطائفة العجلية والعميرية أيضا

وزعمت طائفة ان الامام بعد أبي الخطاب مفضل الصيرفي وكانوا يقولون بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته وتسمى هذه الفرقة المفضلية
وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه وطردهم ولعنهم فإن القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة تائهون
ز الكيالية
أتباع احمد بن الكيال وكان من دعاة واحد من أهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق وأظنه من الأئمة المستورين ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برأيه الفائل وفكره العاطل وابدع مقالة في كل باب علمي علي قاعدة غير مسموعة ولا معقولة وربما عاند الحسن في بعض المواضع
ولما وقفوا على بدعته تبرءوا منه ولعنوه وأمروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ولما عرف الكيال ذلك منهم صرف الدعوة إلى نفسه وادعى الإمامة أولا ثم ادعى انه القائم ثانيا
وكان من مذهبه ان كل من قدر الآفاق على الأنفس وأمكنه ان يبين مناهج العالمين اعني عالم الآفاق وهو العالم العلوي وعالم الأنفس وهو العالم السفلي كان هو الامام وان كل من قرر الكل في ذاته وأمكنه ان يبين كل كلى في شخصه المعين الجزئي كان هو القائم قال ولم يجد في زمن من الأزمان أحد يقرر هذا التقرير الا أحمد الكيال فسكان هو القائم وإنما قتله من انتمى اليه أولا على بدعته ذلك أنه هو الامام ثم القائم وبقيت من مقالته في العالم تصانيف عربية وعجمية كلها مزخرفة مردودة شرعا وعقلا
قال الكيال العوالم ثلاثة العالم الاعلى والعالم الأدنى والعالم الانساني
وأثبت في العالم الاعلى خمسة أماكن الأول مكان الأماكن وهو مكان فارغ

لا يسكنه موجود ولايدبره روحاني وهو محيط بالكل قال والعرش الوارد في الشرع عبارة عنه ودونه مكان النفس الاعلى ودونه مكان النفس الناطقة ودونه مكان النفس الانسانية

قال وأرادت النفس الانسانية الصعود إلى عالم النفس الاعلى فصعدت وخرقت المكانين اعني الحيوانية والناطقة فلما قربت من الوصول إلى عالم النفس الاعلى كلت وانحسرت وتحيرت وتعفنت واستحالت اجزاؤها فأهبطت إلى العالم السفلي ومضت عليها أكوار وادوار وهي في تلك الحالة من العفونة والاستحالة ثم ساحت عليها النفس الاعلى وافاضت عليها من أنوارها جزءا فحدثت التراكيب في هذا العالم وحدثت السماوات والأرض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان ووقعت في بلايا هذه التراكيب تارة سرورا وتارة غما وتارة فرحا وتارة ترحا وطورا سلامة وعافية وطورا بلية ومحنة حتى يظهر القائم ويردها إلى حال الكمال وتنحل التراكيب وتبطل المتضادات ويظهر الروحاني على الجسماني وما ذلك القائم الا أحمد الكيال

ثم دل على تعيين ذاته بأضعف ما يتصور واوهى ما يقدر وهو ان اسم احمد مطابق للعوالم الأربعة فالألف من اسمه في مقابلة النفس الاعلى والحاء في مقابلة النفس الناطقة والميم في مقابلة النفس الحيوانية والدال في مقابلة النفس الانسانية قال والعوالم الأربعة هي المبادئ والبسائط واما مكان الأماكن فلا وجود فيه البتة

ثم أثبت في مقابلة العوالم العلوية العالم السفلي الجسماني قال فالسماء خالية وهي في مقابلة مكان الأماكن ودونها النار ودونها الهواء ودونه الأرض ودونها الماء وهذه الأربعة في مقابلة العوالم الأربعة

ثم قال الانسان في مقابلة النار والطائر في مقابلة الهواء والحيوان في مقابلة الأرض والحوت في مقابلة الماء وكذلك ما في معناه فجعل مركز الماء أسفل المراكز والحوت اخس المركبات

ثم قال العالم الانساني الذي هو أحد الثلاثة وهو عالم الأنفس مع آفاق العالمين الأولين الروحاني والجسماني قال الحواس المركبة فيه خمس
فالسمع في مقابلة مكان الأماكن إذ هو فارغ وفي مقابلة السماء
والبصر في مقابلة النفس الاعلى من الروحاني وفي مقابلة النار من الجسماني وفيه انسان العين لان الانسان مختص بالنار
والشم في مقابلة الناطق من الروحاني والهواء من الجسماني لان الشم من الهواء يتروح ويتنسم
والذوق في مقابلة الحيواني من الروحاني والأرض من الجسماني والحيوان مختض بالأرض والطعم بالحيوان
واللمس في مقابلة الانساني من الروحاني والماء من الجسماني والحوت مختص بالماء واللمس بالحوت وربما عبر عن اللمس بالكتابة
ثم قال احمد هو الف وحاء وميم ودال وهو في مقابلة العالمين
اما في مقابلة العالم العلوي الروحاني فقد ذكرناه
وأما في مقابلة العالم السفلي الجسماني فالألف تدل على الانسان والحاء تدل على الحيوان والميم على الطائر والدال على الحوت فالألف من حيث استقامة القامة كالانسان والحاء كالحيوان لأنه معوج منكوس ولان الحيوان من ابتداء اسم الحيوان والميم تشبه رأس الطائر والدال تشبه ذنب الحوت
ثم قال ان البارىء تعالى انما خلق الانسان على شكل اسم احمد فالقامة مثل الألف واليدان مثل الحاء والبطن مثل الميم والرجلان مثل الدال
ثم من العجب انه قال ان الأنبياء هم قادة أهل التقليد وأهل التقليد عميان والقوئم قائد أهل البصيرة وأهل البصيرة أولوا الألباب وانما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس

والمقابلة كما سمعتها من اخس المقالات واوهى المقابلات بحيث لا يستجيز عاقل ان يسمعها فكيف يرضى ان يعتقدها
واعجب من هذا كله تاويلاته الفاسدة ومقابلاته بين الفرائض الشرعية والأحكام الدينية وبين موجودات عالمي الآفاق والأنفس وادعاؤه انه متفرد بها وكيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من أهل العلم بتقرير ذلك لا على الوجه المزيف الذي قرره الكيال وحمله الميزان على العالمين والصراط على نفسه والجنة على الوصول إلى علمه من البصائر والنار على الوصول إلى ما يضاده
ولما كانت أصول علمه ما ذكرناه فانظر كيف يكون حال الفروع
ح الهشامية
أصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله في التشبيه
وكان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام منها في التشبيه ومنها في تعلق علم الباري تعالى
حكي ابن الراوندي عن هشام انه قال ان بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه
وحكى الكعبي عنه انه قال هو جسم ذوابعاض له قدر من الاقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء
ونقل عنه انه قال هو سبعة أشبار بشبر نفسه وانه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان إلى مكان
وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة وحكى عنه أبو عيسى الوراق انه قال ان الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء عن العرش ولا يفضل من العرش شيء عنه

ومن مذهب هشام انه قال لم يزل الباري تعالى عالما بنفسه ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه انه محدث أو قديم لأنه صفة والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو هو أو غيره أو بعضه

وليس قوله في القدرة والحياة كقوله في العلم الا انه لا يقول بحدوثهما قال ويريد الأشياء وارادته حركة ليست هي عين الله ولا هي غيره

وقال في كلام الباري تعالى انه صفة للباري تعالى ولا يجوز ان يقال هو مخلوق أو غير مخلوق

وقال الاعراض لا تصلح ان تكون دلاله على الله تعالى لان منها ما يثبت استدلالا وما يستدل به على الباري تعالى يجب ان يكون ضروري الوجود لا استدلالا وقال الاستطاعة كل مالا يكون الفعل الا به كالآلات والجوارح والوقت والمكان

وقال هشام بن سالم انه تعالى على صورة انسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وانف واذن وفم وله وفرة سوداء هي نور اسود لكنه ليس بلحم ولا دم وقال هشام بن سالم الاستطاعة بعض المستطيع وقد نقل عنه انه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة ويفرق بينهما بان النبي يوحي أبيه فينبه على وجه الخطأ فيتوب عنه والامام لا يوحى اليه فتجب عصمته

وغلا هشام بن الحكم في حق علي رضي الله عنه حتى قال انه اله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب عور في الأصول لا يجوز ان يغفل عن الزاماته على المعتزلة فإن الرجل وراء ما يلزم به على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه وذلك انه الزم العلاف فقال انك تقول الباري تعالى إلى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في انه عالم بعلم ويباينها في ان علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين فلم لا تقول انه جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالاقدار إلى غير ذلك

ووافقه زرارة بن أعين في حدوث علم الله تعالى وزاد عليه بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته وانه لم يكن قبل حدوث هذه الصفات عالما ولا قادرا ولا حيا ولا سميعا ولا بصيرا ولا مريدا ولا متكلما

وكان يقول بإمامة عبد الله بن جعفر فلما فاوضه في مسائل ولم يجده بها مليا رجع إلى موسى بن جعفر وقيل أيضا انه لم يقل بإمامته الا انه أشار إلى المصحف وقال هذا امامي وانه كان قد التوى على عبد الله بن جعفر بعض الالتواء

وحكي عن الزرارية ان المعرفة ضرورية وانه لا يسع جهل الأئمة فان معارفهم كلها فطرية ضرورية وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم اولي ضروري وفطرياتهم لا يدركها غيرهم

ط النعمانية

أصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول الملقب بشيطان الطاق وهم الشيطانية أيضا

والشيعة تقول هو مؤمن الطاق

وهو تلميذ الباقر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم وأفضى اليه اسرارا من أحواله وعلومه وما يحكى عنه من التشبيه فهو غير صحيح

قيل وافق هشام بن الحكم في ان الله تعالى لا يعلم شيئا حتى يكون

قال شيطان الطاق وكثير من الروافض ان الله عالم في نفسه ليس بجاهل ولكنه انما يعلم الأشياء إذا قدرها وارادها فاما من قبل ان يقدرها ويريدها فمحال ان يعلمها لا لأنه ليس بعالم ولكن الشيء لا يكون شيئا حتى يقدره وينشئه بالتقدير والتقدير عنده الإرادة والإرادة فعله تعالى

وقال ان الله تعالى نور على صورة انسان رباني ونفى ان يكون جسما لكنه قال قد ورد في الخبر ان الله خلق ادم على صورته وعلى صورة الرحمن فلا بد من تصديق الخبر ويحكى عن مقاتل بن سليمان مثل مقالته في الصورة وكذلك يحكى عن داود الجواربي ونعيم بن حماد المصري وغيرهما من أصحاب الحديث انه تعالى ذو صورة وأعضاء

ويحكى عن داود انه قال اعفوني من الفرج واللحية واسالوني عما وراء ذلك فان في الاخبار ما يثبت ذلك

وقد صنف ابن النعمان كتبا جمة للشيعة منها افعل لم فعلت ومنها افعل لا تفعل ويذكر فيها ان كبار الفرق أربعة الفرقة الأولى عنده القدرية الفرقة الثانية عنده الخوارج الفرقة الثالثة عنده العامة الفرقة الرابعة عنده الشيعة

ثم عين الشيعة بالنجاة في الآخرة من هذه الفرق

وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن النعمان انهما امسكا عن الكلام في الله ورويا عمن يوجبان تصديقه انه سئل عن قول الله تعالى * (وأن إلى ربك المنتهى) * قال إذا بلغ الكلام إلى الله تعالى فأمسكوا فامسكا عن القول في الله والتفكر فيه حتى ماتا هذا نقل الوراق

ومن جملة الشيعة
ي اليونسية
أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي مولى ال يقطين زعم ان الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب تعالى إذ قد ورد في الخبر ان الملائكة تئط أحيانا من وطأة عظمة الله تعالى على العرش
وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتبا في ذلك
ك النصرية والإسحاقية
من جملة غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبون عن أصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في كيفية اطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجسماني امر لا ينكره عاقل اما في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الاشخاص والتصور بصورة اعرابي والتمثل بصورة البشر واما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة انسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه فكذلك نقول ان الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله شخص أفضل من علي رضي الله عنه

وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بأيديهم فمن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم وانما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي رضي الله عنه دون غيره لأنه كان مخصوصا بتأييد الهي من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الاسرار قال النبي صلى الله عليه وسلم انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقتال المنافقين إلى علي رضي الله عنه وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى ابن مريم عليه السلام لقلت فيك مقالا
وربما اثبتوا له شركة في الرسالة إذ قال النبي عليه الصلاة والسلام فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من أول الدليل على ان فيه جزءا الهيا وقوة ربانية ويكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيده وامر بلسانه وعن هذا قالوا كان موجودا قبل خلق السماوات والأرض قال كنا أظلة عن يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصور التي تنبىء عن الظلال هي حقيقتة وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لاينفصل عنها سواء كانت في هذا العالم أو في ذلك العالم وعن هذا قال علي رضي الله عنه انا من احمد كالضوء من الضوء يعني لافرق بين النورين الا ان أحدهما سابق والثاني لاحق به تال له قالوا وهذا يدل على نوع الشركة
فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي
والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة
ولهم اختلافات كثيرة أخرى لانذكرها

وقد نجزت الفرق الاسلامية وما بقيت الا فرقة الباطنية وقد أوردهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات اما خارجة عن الفرق واما داخلة فيها وبالجملة هم قوم يخالفون الاثنين والسبعين فرقة

رجال الشيعة ومصنفو كتبهم من المحدثين

فمن الزيدية أبو خالد الواسطي ومنصور بن الأسود وهارون بن سعد العجلي جارودية ووكيع بن الجراح ويحيى بن ادم وعبد الله بن موسى وعلي بن صالح والفضل ابن دكين وأبو حنيفة بترية

وخرج محمد بن عجلان مع محمد الامام

وخرج إبراهيم بن سعيد وعباد بن عوام ويزيد بن هارون والعلاء بن راشد وهشيم بن بشير والعوام بن حوشب ومستلم بن سعيد مع إبراهيم الامام

ومن الامامية وسائر أصناف الشيعة سالم بن أبي الجعد وسالم بن أبي حفصة وسلمة بن كهيل وثوير بن أبي فاختة وحبيب بن أبي ثابت وأبو المقدام وشعبة والأعمش وجابر الجعفي وأبو عبد الله الجدلي وأبو اسحق السبيعي والمغيرة وطاووس والشعبي وعلقمة وعبيرة بن بريم وحبة العرني والحارث الأعور

ومن مؤلفي كتبهم هشام بن الحكم وعلي بن منصور ويونس بن عبد الرحمن والشكال والفضل بن شاذان والحسين بن اشكاب ومحمد بن عبد الرحمن وابن قبة وأبو سهل النوبختي واحمد بن يحيى الراوندي

ومن المتأخرين أبو جعفر الطوسي

٥ – الإسماعيلية
قد ذكرنا ان الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثني عشرية باثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الامر
قالوا ولم يتزوج الصادق رضي الله عنه على أمه بواحدة من النساء ولا تسرى بجارية كسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق خديجة رضي الله عنها وكسنة علي رضي الله عنه في حق فاطمة رضي الله عنها
وقد ذكرنا اختلافاتهم في موته في حال حياة أبيه
فمنهم من قال انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة كما نص موسى على هارون عليهما السلام ثم مات هارون في حال حياة أخيه وانما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلى أولاده فان النص لا يرجع قهقري والقول بالبداء محال ولا ينص الامام على واحد من أولاده الا بعد السماع من ابائه والتعيين لا يجوز على الابهام والجهالة
ومنهم من قال انه لم يمت ولكنه اظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل ولهذا القول دلالات منها ان محمدا كان صغيرا وهو اخوه لامه مضى إلى السرير الذي كان إسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فأبصره وقد فتح عينيه فعاد إلى أبيه مفزعا وقال عاش أخي عاش أخي قال والده ان أولاد الرسول عليه الصلاة والسلام كذا تكون حالهم في الآخرة قالوا ومنها السبب في الاشهاد على موته وكتب المحضر عنه ولم نعهد ميتا سجل على موته وعن هذا لما رفع إلى المنصور ان إسماعيل بن جعفر رؤى بالبصرة وقد مر على مقعد فدعا له فبرئ باذن الله تعالى بعث المنصور إلى الصادق ان إسماعيل بن جعفر في الاحياء وانه رؤي بالبصرة انفذ السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينة

قالوا وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام وانما تم دور السبعة به ثم ابتدىء منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سرا ويظهرون الدعاة جهرا
قالوا ولن تخلو الأرض قط من امام حي قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فإذا كان الامام ظاهرا جاز ان يكون حجته مستورا وإذا كان الامام مستورا فلا بد ان يكون حجته ودعاته ظاهرين
وقالوا ان الأئمة تدور احكامهم على سبعة سبعة كأيام الأسبوع والسماوات السبع والكواكب السبعة والنقباء تدور احكامهم على اثني عشر
قالوا وعن هذا وقعت الشبهة للامامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة
ثم بعد الأئمة المستورين كان ظهور المهدي بالله والقائم بأمر الله وأولادهم نصا بعد نص على امام بعد امام
ومن مذهبهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعه امام مات ميتة جاهلية
ولهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة
واشهر ألقابهم الباطنية وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا
ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم
فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية
وبخراسان التعليمية والملحدة
وهم يقولون نحن الإسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص
ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم

على هذا المنهاج فقالوا في الباري تعالى انا لا نقول هو موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز
وكذلك في جميع الصفات فان الاثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بالاثبات المطلق والنفي المطلق بل هو اله المتقابلين وخالق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين ونقلوا في هذا نصا عن محمد بن علي الباقر انه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم قادر بمعنى انه وهب العلم والقدرة لا بمعنى انه قام به العلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة
فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات
قالوا وكذلك نقول في القدم انه ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته
ابدع بالامر العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه ابدع النفس التالي الذي هو غير تام ونسبة النفس إلى العقل اما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة والبيض إلى الطير واما نسبة الولد إلى الوالد والنتيجة إلى المنتج واما نسبة الأنثى إلى الذكر والزوج إلى الزوج قالوا ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال واحتاجت الحركة إلى الة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الانسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار وكان عالمه في مقابلة العالم كله
وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي فوجب ان يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمة حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس

مشخصة وهو كل أيضا وحكمه حكم الطفل الناقص المتوجه إلى الكمال أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام أو حكم الأنثى المزدوجة بالذكر ويسمونه الأساس وهو الوصي

قالوا وكما تحركت الأفلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والاشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائرا على سبعة سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع انما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس إلى حال كمالها وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها به ووصولها إلى مرتبته فعلا وذلك هو القيامة الكبرى فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات وتنشق السماء وتتناثر الكواكب وتبدل الأرض غير الأرض وتطوى السماء كطي السجل للكتاب المرقوم وفيه يحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي وجزئيات الباطل بالشيطان المضل المبطل فمن وقت الحركة إلى وقت السكون هو المبدأ ومن وقت السكون إلى مالا نهاية له هو الكمال

ثم قالوا ما من فريضة وسنة وحكم من الاحكام الشرعية من بيع وإجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية الا وله وزان من العالم عددا في مقابلة عدد وحكما في مطابقة حكم فان الشرائع عوالم روحانية امرية والعوالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان التركيبات في الصور والأجسام والحروف المفردة نسبتها إلى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة إلى المركبات من الأجسام ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان وقد قدر الله تعالى ان يكون

غذاء كل موجود مما خلق منه فعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر اعداد الكلمات والآيات وان التسمية مركبة من سبعة واثني عشر وان التهليل مركب من اربع كلمات في احدى الشهادتين وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الأولى وست في الثانية واثني عشر حرفا في الأولى واثني عشر حرفا في الثانية وكذلك في كل اية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه الا ويعجز عن ذلك خوفا من مقابلته بضده وهذه المقابلات كانت طريقة اسلافهم قد صنفوا فيها كتبا ودعوا الناس إلى امام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ويهتدي إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم

ثم ان أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين اظهر الحسن بن محمد بن الصباح دعوته وقصر على الالزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده على قلعة الموت في شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد ان هاجر إلى بلاد امامه وتلقى منه كيفية الدعوى لابناء زمانه فعاد ودعا الناس أول دعوة إلى تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتمييز الفرقة الناجية عن سائر الفرق بهذه النكتة وهي ان لهم اماما وليس لغيرهم امام وانما تعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عودا على بدء بالعربية والعجمية إلى هذا الحرف

ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلى العربية ولا معاب على الناقل والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل والله الموفق والمعين

فنبدأ بالفصول الأربعة التي ابتدأ بها دعوته وكتبها عجمية فعربتها

الأول قال للمفتي في معرفة الله تعالى أحد قولين اما ان يقول اعرف الباري تعالى بمجرد العقل والنظر من احتياج إلى تعليم معلم واما ان يقول لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر الا بتعليم معلم قال ومن أفتى بالأول فليس له الانكار على عقل غيره ونظره فإنه متى انكر فقد علم والانكار تعليم ودليل على ان المنكر عليه محتاج إلى غيره قال والقسمان ضروريان لان الانسان إذا أفتى بفتوى أو قال قولا فاما ان يعتقده من نفسه أو من غيره

هذا هو الفصل الأول وهو كسر على أصحاب الرأي والعقل
وذكر في الفصل الثاني انه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم أفيصلح كل معلم على الاطلاق أم لابد من معلم صادق قال ومن قال انه يصلح كل معلم ماساغ له الانكار على معلم خصمه وإذا انكر فقد سلم انه لابد من معلم صادق معتمد
قيل وهذا كسر على أصحاب الحديث
وذكر في الفصل الثالث انه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق افلابد من معرفة المعلم أولا والظفر به ثم التعلم منه أم جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه والثاني رجوع إلى الأول ومن لم يمكنه سلوك الطريق الا بمقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق وهو كسر على الشيعة
وذكر في الفصل الرابع ان الناس فرقتان فرقة قالت نحن نحتاج في معرفة الباري تعالى إلى معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه أولا ثم التعلم منه وفرقة اخذت في كل علم من معلم وغير معلم وقد تبين بالمقدمات السابقة ان الحق مع الفرقة الأولى فرئيسهم يجب ان يكون رئيس المحقين وإذ تبين ان الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم يجب ان يكونوا رؤساء المبطلين
قال وهذه الطريقة هي التي عرفنا بها المحق بالحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك الحق بالمحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دوران المسائل وانما عني بالحق ههنا الاحتياج وبالمحق المحتاج اليه وقال بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب أي واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات
قال والطريق إلى التوحيد كذلك حذو القذة بالقذة
ثم ذكر فصولا في تقرير مذهبه اما تمهيدا واما كسرا على المذاهب وأكثرها كسر والزام واستدلال بالاختلاف على البطلان وبالاتفاق على الحق

منها فصل الحق والباطل الصغير والكبير يذكر ان في العالم حقا وباطلا ثم يذكر ان علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأي مع الفرق المختلفة وهي مع رؤسائهم

وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه والتمايز بينهما من وجه والتضاد في الطرفين والترتب في أحد الطرفين ميزانا يزن به جميع ما يتكلم فيه قال وانما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفي والاثبات أو النفي والاستثناء قال فما هو مستحق النفي باطل وما هو مستحق الاثبات حق ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر المتضادات ونكتته ان يرجع في كل مقالة وكلمة إلى اثبات المعلم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معا حتى يكون توحيدا وان النبوة هي النبوة والإمامة معا حتى تكون نبوة وهذا هو منتهى كلامه

وقد منع العوام من الخوض في العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم

ولم يتعد بأصحابه في الإلهيات عن قوله ان الهنا اله محمد قال وأنتم تقولون الهنا اله العقول أي ما هدى اليه عقل كل عاقل فان قيل لواحد منهم ما تقول في الباري تعالى وانه هل هو واحد أم كثير عالم أم لا قادر أم لا لم يجب الا بهذا القدر ان الهي اله محمد و * (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) * والرسول هو الهادي اليه

وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم افنحتاج إليك أو نسمع هذا منك أو نتعلم عنك

وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت اين المحتاج اليه واي شيءيقرره لي في الإلهيات وماذا يرسم لي في المعقولات إذ المعلم لا يعني لعينه وانما يعني ليعلم وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد وليس يرضى عاقل بان يعتقد مذهبا على غير بصيرة وان يسلك طريقا من غير بينة

وان كانت مبادئ الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات * (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) *

الفصل السابع

أهل الفروع

المختلفون في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية

(ا) اعلم ان أصول الاجتهاد وأركانه أربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس وربما تعود إلى اثنين

وانما تلقوا صحة هذه الأركان وانحصارها من اجماع الصحابة رضي الله عنهم وتلقوا أصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم أيضا فان العلم قد حصل بالتواتر انهم إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام فزعوا إلى الاجتهاد وابتدءوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيه نصا أو ظاهرا فزعوا إلى السنة فان روي لهم في ذلك خبر اخذوا به ونزلوا على حكمه وان لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد فكانت أركان الاجتهاد عندهم اثنين أو ثلاثة

ولنا بعدهم أربعة إذ وجب علينا الاخذ بمقتضى اجماعهم واتفاقهم والجري على مناهج اجتهادهم
وربما كان اجماعهم على حادثة اجماعا اجتهاديا وربما كان اجماعا مطلقا لم يصرح فيه باجتهاد وعلى الوجهين جميعا فالاجماع حجة شرعية لاجماعهم على التمسك بالاجماع ونحن نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم الذين هم الأئمة الراشدون لا يجتمعون على ضلال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة ولكن الاجماع لا يخلو عن نص خفي أو جلي قد اختصه لأنا على القطع نعلم ان الصدر الأول لا يجمعون على امر الا عن تثبت وتوقيف فاما ان يكون ذلك النص في نفس الحادثة التي اتفقوا على حكمها من غير بيان ما يستند اليه حكمها واما ان يكون النص في ان الاجماع حجة ومخالفة الاجماع بدعة
وبالجملة مستندا الاجماع نص خفي أو جلي لا محالة والا فيؤدي إلى اثبات الاحكام المرسلة ومستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع وهو أيضا مستند إلى نص مخصوص في جواز الاجتهاد فرجعت الأصول الأربعة في الحقيقة إلى اثنين وربما ترجع إلى واحد وهو قول الله تعالى
وبالجملة نعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ونعلم قطعا أيضا انه لم يرد في كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضا والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية وما لا يتناهى لايضبطه ما يتناهى علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد
ثم لا يجوز ان يكون الاجتهاد مرسلا خارجا عن ضبط الشرع فان القياس المرسل شرع اخر وإثبات حكم من غير مستند وضع اخر والشارع هو الواضع للاحكام فيجب على المجتهد ان لا يعدل في اجتهاده عن هذه الأركان

ب وشرائط الاجتهاد خمسة
معرفة قدر صالح من اللغة بحيث يمكنه فهم لغات العرب والتمييز بين الالفاظ الوضعية والاستعارية والنص والظاهر والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل وفحوى الخطاب ومفهوم الكلام وما يدل على مفهومه بالمطابقة وما يدل بالتضمن وما يدل بالاستتباع فان هذه المعرفة كالاله التي بها يحصل الشيء ومن لم يحكم الاله والاداة لم يصل إلى تمام الصنعة
ثم معرفة تفسير القرآن خصوصا ما يتعلق بالاحكام وما ورد من الاخبار في معاني الآيات وما رؤي من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا مناهجها واي معنى فهموا من مدارجها ولو جهل تفسير سائر الآيات التي تتعلق بالمواعظ والقصص قيل لم يضره ذلك في الاجتهاد فان من الصحابة من كان لا يدري تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القران وكان من أهل الاجتهاد
ثم معرفة الاخبار بمتونها وأسانيدها والإحاطة بأحوال النقلة والرواة عدولها وثقلها ومطعونها ومردودها والإحاطة بالوقائع الخاصة فيها وما هو عام ورد في حادثة خاصة وما هو خاص عمم في الكل حكمه ثم الفرق بين الواجب والندب والإباحة والحظر والكراهة حتى لا يشذ عنه وجه من هذه الوجوه ولايختلط عليه باب بباب
ثم معرفة مواقع اجماع الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع اجتهاده في مخالفة الاجماع
ثم التهدي إلى مواضع الأقيسة وكيفية النظر والتردد فيها من طلب أصل أولا ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه فيعلق الحكم عليه أو شبه يغلب على الظن فيلحق الحكم به فهذه خمسة شرائط لا بد من مراعاتها حتى يكون المجتهد مجتهدا واجب الاتباع

والتقليد في حق العامي وإلا فكل حكم لم يستند إلى قياس واجتهاد مثل ما ذكرنا فهو مرسل مهمل
قالوا فإذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ويكون الحكم الذي أدى اليه اجتهاده سائغا في الشرع ووجب على العامي تقليده والاخذ بفتواه وقد استفاض الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بعث معاذا إلى اليمن قال يا معاذ بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد برأيي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسوله لما يرضاه
وقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا إلى اليمن قلت يا رسول الله كيف اقضي بين الناس وانا حديث السن فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على صدري وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين
١ – أحكام المجتهدين في الأصول والفروع
ثم اختلف أهل الأصول في تصويب المجتهدين في الأصول والفروع
فعامة أهل الأصول على أن الناظر في المسائل الأصولية والاحكام العقلية اليقينية القطعية يجب ان يكون متعين الإصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز ان يختلف المختلفان في حكم عقلي حقيقة الاختلاف بالنفي والاثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفي أحدهما ما يثبته الاخر بعينه من الوجه الذي يثبته في الوقت الذي يثبته الا وان يقتسما الصدق والكذب والحق والباطل سواء كان الاختلاف بين أهل الأصول في الاسلام أو بين أهل الاسلام وبين أهل الملل والنحل الخارجة عن الاسلام فان المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب والصواب والخطأ عليه في حالة واحدة وهو مثل قول أحد المخبرين زيد في هذه

الدار في هذه الساعة وقول الثاني ليس زيد في هذه الدار في هذه الساعة فانا نعلم قطعا ان أحد المخبرين صادق والاخر كاذب لان المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معا فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار

لعمري قد يختلف المختلفان في حكم عقلي في مسالة ويكون محل الاختلاف مشتركا وشرط تقابل القضيتين نافذا فحينئذن يمكن ان يصوب المتنازعان ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك أو يعود النزاع إلى أحد الطرفين

مثال ذلك المختلفان في مسالة الكلام ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفي والاثبات فان الذي قال هو مخلوق أراد به ان الكلام هو الحروف والأصوات في اللسان والرقوم والكلمات في الكتابة قال وهذا مخلوق والذي قال ليس بمخلوق لم يرد به الحروف والرقوم وانما أراد به منعى اخر فلم يتنازع في الخلق على معنى واحد

وكذلك في مسالة الرؤية فان النافي قال الرؤية انما هي اتصال شعاع بالمرئي وهو لا يجوز في حق الباري تعالى والمثبت قال الرؤية ادراك أو علم مخصوص ويجوز تعلقه بالباري تعالى فلم يتوارد النفي والاثبات على معنى واحد الا إذا رجع الكلام إلى اثبات حقيقة الرؤية فيتفقان أولا على انها ما هي ثم يتكلمان نفيا واثباتا

وكذلك في مسالة الكلام يرجعان إلى اثبات ماهية الكلام ثم يتكلمان نفيا واثباتا والا فيمكن ان تصدق القضيتان

وقد صار أبو الحسن العنبري إلى ان كل مجتهد ناظر في الأصول مصيب لأنه أدى ما كلف به من المبالغة في تسديد النظر في المنظور فيه وان كان متعينا نفيا واثباتا الا انه أصاب من وجه وانما ذكر هذا في الاسلاميين من الفرق واما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص والاجماع على كفرهم وخطئهم وكان سياق مذهبه يقتضي تصويب كل مجتهد على الاطلاق الا ان النصوص والاجماع صدته عن تصويب كل ناظر وتصديق كل قائل

وللاصولين خلاف في تكفير أهل الأهواء مع قطعهم بان المصيب واحد بعينه لان التكفير حكم شرعي والتصويب حكم عقلي فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضلل مخالفه ومن متساهل متالف لم يكفر

ومن كفر قرن كل مذهب ومقالة بمقالة واحد من أهل الأهواء والملل كتقرين القدرية بالمجوس وتقرين المشبه باليهود وتقرين الرافضة بالنصارى واجرى حكم هؤلاء فيهم من المناكحة واكل الذبيحة

ومن تساهل ولم يكفر قضى بالتضليل وجكم بأنهم هلكى في الآخرة

واختلفوا في اللعن على حسب اختلافهم في التكفير والتضليل

وكذلك من خرج على الامام الحق بغيا وعدوانا فان كان صدر خروجه عن تأول واجتهاد سمي باغيا مخطئا ثم البغي هل يوجب اللعن

فعند أهل السنة إذا لم يخرج بالبغي عن الايمان لم يستوجب اللعن

وعند المعتزلة يستحق اللعن بحكم فسقه والفاسق خارج عن الايمان وان كان صدر خروجه عن البغي والحسد والمروق عن الدين فاجماع المسلمين استحق اللعن باللسان والقتل بالسيف والسنان

اما المجتهدون في الفروع فاختلفوا في الاحكام الشرعية من الحلال والحرام ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها وانما يبتني ذلك على أصل وهو انا نبحث هل لله تعالى حكم في كل حادثة أم لا

فمن الاصولين من صار إلى ان لا حكم لله تعالى في الوقائع المجتهد فيها حكما بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر وحلال وحرام وانما حكمه تعالى ما أدى إليه اجتهاد المجتهد وان هذا الحكم منوط بهذا السبب فما لم يوجد السبب لم يثبت الحكم خصوصا على

مذهب من قال ان الجواز الحظر لا يرجعان إلى صفات في الذات وانما هي راجعة إلى أقوال الشارع افعل لا تفعل وعلى هذا المذهب كل مجتهد مصيب في الحكم
ومن الأصوليين من صار إلى ان لله تعالى في كل حادثة حكما بعينه قبل الاجتهاد من جواز وحظر بل وفي كل حركة يتحرك بها الانسان حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد إذ الطلب لا بد له من مطلوب والاجتهاد يجب ان يكون من شيء إلى شيء فالطلب المرسل لا يعقل ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والمعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة المعنوية أو التقريب من حيث الاحكام والصور حتى يثبت في المجتهد فيه مثل ما يلفيه في المتفق عليه ولو لم يكن له مطلوب معين كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه فعلى هذا المذهب المصيب واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب وان كان الثاني معذورا نوع عذر إذ لم يقصر في الاجتهاد
ثم هل يتعين المصيب أم لا فأكثرهم على انه لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينه ومن الأصوليين من فصل الامر فيه فقال ينظر في المجتهد فيه فإن كانت مخالفة النص ظاهرة في واحد من المجتهدين فهو المخطىء بعينه خطأ لا يبلغ تضليلا والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم تكن مخالفة النص ظاهرة فلم يكن مخطئا بعينه بل كل واحد منهما مصيب في اجتهاده وأحدهما مصيب في الحكم لا بعينه
هذه جملة كافية في احكام المجتهدين في نوعي الأصول والفروع والمسالة مشكلة والقضية معضلة

٢ – حكم الاجتهاد والتفليد والمجتهد والمقلد
ثم الاجتهاد من فروض الكفايات لا من فروض الأعيان إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع وان قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه واشرفوا على خطر عظيم فإن الاحكام الشرعية الاجتهادية إذا كانت مترتبه على الاجتهاد ترتب المسبب على السبب ولم يوجد السبب كانت الاحكام عاطلة والآراء كلها فائلة فلابد إذا من مجتهد
وإذا اجتهد المجتهدان وادى اجتهاد كل واحد منهما إلى خلاف ما أدى اليه اجتهاد الاخر فلا يجوز لأحدهما تقليد الاخر وكذلك إذا اجتهد مجتهد واحد في حادثة وادى اجتهاده إلى جواز أو خطر ثم حدثت تلك الحادثة بعينه في وقت اخر فلا يجوز له ان يأخذ باجتهاده الأول إذ يجوز ان يبدو له في الاجتهاد الثاني ما أغفله في الاجتهاد الأول
وأما العامي فيجب عليه تقليد المجتهد انما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأله عنه هذا هو الأصل الا ان علماء الفريقين لم يجوزوا ان يأخذ العامي الحنفي الا بمذهب أبي حنيفة والعامي الشافعي إلا بمذهب الشافعي لان الحكم بان لا مذهب للعامي وان مذهبه مذهب المفتي يؤدي إلى خلط وخبط فلهذا لم يجوزوا ذلك
وإذا كان مجتهدان في بلد اجتهد العامي فيهما حتى يختار الأفضل والأورع ويأخذ بفتواه وإذا أفتى المفتى على مذهبه وحكم به قاض من القضاة على مقتضى فتواه ثبت الحكم على المذاهب كلها وكان القضاء إذا اتصل بالفتوى الزم الحكم كالقبض مثلا إذا اتصل بالعقد ثم العامي باي شيء يعرف ان المجنهد قد وصل إلى حد

الاجتهاد وكذلك المجتهد نفسه متى يعرف انه قد استكمل شرائط الاجتهاد ففيه نظر ومن أصحاب الظاهر مثل داود الاصفهاني وغيره من لم يجوز القياس والاجتهاد في الاحكام وقال الأصول هي الكتاب والسنة والاجماع فقط ومنع ان يكون القياس أصلا من الأصول وقال ان أول من قاس إبليس وظن ان القياس امر خارج عن مضمون الكتاب والسنة ولم يدر انه طلب حكم الشرع من مناهج الشرع ولم تنضبط قط شريعة من الشرائع الا باقتران الاجتهاد بها لأن من ضرورة الانتشار في العالم الحكم بان الاجتهاد معتبر وقد رأينا الصحابة رضي الله عنهم كيف اجتهدوا وكم قاسوا خصوصا في مسائل المواريث من توريث الاخوة مع الجد وكيفية توريث الكلالة وذلك مما لا يخفى على المتدبر لأحوالهم

٣ – أصناف المجتهدين

ثم المجتهدون من أئمة الأمة محصورون في صنفين لا يعدوان إلى ثالث

أصحاب الحديث وأصحاب الرأي

أصحاب الحديث

وهم أهل الحجاز هم أصحاب مالك بن انس وأصحاب محمد بن إدريس الشافعي وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب احمد بن حنبل وأصحاب داود بن علي بن محمد الاصفهاني وانما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا أو اثرا

قال الشافعي إذا وقد وجدتم لي مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر ومن أصحابه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني والربيع ابن سليمان الجيزي وحرملة بن يحيى النجيبي والربيع بن سليمان المرادي وأبو يعقوب البويطي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي وهم لا يزيدون على اجتهاده اجتهادا بل يتصرفون فيما نقل عنه توجيها واستنباطا ويصدرون عن رايه جملة فلا يخالفونه البتة أصحاب الرأي

وهم أهل العراق هم أصحاب أبى حنيفة النعمان بن ثابت ومن أصحابه محمد بن الحسن وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن محمد القاضي وزفر بن الهذيل والحسن بن زياد اللؤلؤي وابن سماعة وعافية القاضي وأبو مطيع البلخي وبشر المريس

وانما سموا أصحاب الرأي لأن أكثر عنايتهم بتحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلى على آحاد الاخبار وقد قال أبو حنيفة علمنا هذا رأى أحسن ما قدرنا عليه فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا

وهؤلاء ربما يزيدون على اجتهاده اجتهادا ويخالفونه في الحكم الاجتهادى والمسائل التي خالفوه فيها معروفة

تفرقة وتذكرة اعلم ان بين الفريقين اختلافات كثيرة في الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتى كأنهم قد أشرفوا على القطع واليقين وليس يلزم من ذلك تكفير ولا تضليل بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا قبل هذا

الباب الثاني
أهل الكتاب
الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الاسلامية ممن يقول بشريعة واحكام وحدود واعلام وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل باهل الكتاب
وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية فان الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لاحداث أحدثها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم وينحى بهم نحو اليهود والنصارى إذ هم من أهل الكتاب ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم فان الكتاب قد رفع عنهم
فنحن نقدم ذكر أهل الكتاب لتقدمهم بالكتاب ونؤخر ذكر من له شبهة كتاب
أهل الكتاب والأميون الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب والأميون والامى من لا يعرف الكتابة وكانت اليهود والنصارى بالمدينة والأميون بمكة
وأهل الكتاب كانوا ينصرون دين الأسباط ويذهبون مذهب بني إسرائيل والأميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بنى إسماعيل ولما انشعب النور الوارد من ادم عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام ثم الصادر عنه إلى شعبتين شعبة

في بنى إسرائيل وشعبة في بنى إسماعيل وكان النور المنحدر منه إلى بنى إسرائيل ظاهرا والنور المنحدر منه إلى بنى إسماعيل مخفيا كان يستدل على النور الظاهر بظهور الاشخاص واظهار النبوة في شخص شخص ويستدل على النور المخفى بإبانة المناسك والعلامات وستر الحال في الاشخاص

وقبلة الفرقة الأولى بيت المقدس وقبلة الفرقة الثانية بيت الله الحرام الذي وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين وشريعة الأولى ظواهر الاحكام وشريعة الثانية رعاية المشاعر الحرام وخصماء الفريق الأول الكافرون مثل فرعون وهامان وخصماء الفريق الثاني المشركون مثل عبدة الأصنام والأوثان فتقابل الفريقان وصح التقسيم بهذه التقابلين

اليهود والنصارى

وهاتان الأمتان من كبار أمم أهل الكتاب والأمة اليهودية أكبر لان الشريعة كانت لموسى عليه السلام وجميع بنى إسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام احكام التوراة

والإنجيل النازل على المسيح عليه السلام لا يتضمن احكاما ولا يستبطن حلالا ولا حراما ولكنه رموز وأمثال ومواعظ ومزاجر وما سواها من الشرائع والاحكام فمحالة على التوراة كما سنبين فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى بن مريم عليه السلام وادعوا عليه انه كان مأمولا بمتابعة موسى عليه السلام وموافقة التوراة فغير وبدل وعدوا عليه تلك التغييرات منها تغيير السبت إلى الاحد ومنها تغيير اكل لحم الخنزير وكان حراما في التوراة ومنها الختان والغسل وغير ذلك

والمسلمون قد بينوا ان الأمتين قد بدلوا وحرفوا والا فعيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى عليه السلام وكلاهما مبشران بمقدم نبينا محمد نبي الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين وقد امرهم أئمتهم وانبياؤهم وكتابهم بذلك وانما بنى اسلافهم الحصون

والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي اخر الزمان فامروهم بمهاجرة أوطانهم بالشام إلى تلك القلاع والبقاع حتى إذا ظهر واعلن الحق بفاران وهاجر إلى دار هجرته يثرب هجروه وتركوا نصره وذلك قوله تعالى * (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) * وانما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع الا بحكمه إذ كانت اليهود تقول * (ليست النصارى على شيء) * وكانت النصارى تقول * (ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) * وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم * (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل) * وما كان يمكنهم اقامتها الا بإقامة القرآن الحكيم وبحكم نبي الرحمة رسول آخر الزمان فلما أبوا ذلك وكفروا بآيات الله * (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) * الآية

الفصل الأول

اليهود خاصة

هاد الرجل اى رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا إليك اى رجعنا وتضرعنا

وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة وهو أول كتاب نزل من السماء اعني ان ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتابا

بل صحفا وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله تعالى خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده
فأثبت لها اختصاصا آخر سوى سائر الكتب وقد اشتمل ذلك على أسفار فيذكر مبتدأ الخلق في السفر الأول ثم يذكر الاحكام والحدود والأحوال والقصص والمواعظ والأذكار في سفر سفر
وانزل عليه أيضا الألواح على شبه مختصر ما في التوراة تشتمل على الاقسام العلمية والعملية قال الله تعالى * (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة) * إشارة إلى تمام القسم العلمي * (وتفصيلا لكل شيء) * إشارة إلى تمام القسم العملي
قالوا وكان موسى عليه السلام قد افضى باسرار التوراة والألواح إلى يوشع بن نون وصية وفتاه والقائم بالامر من بعده ليفضى بها إلى أولاد هارون لان الامر كان مشتركا بينه وبين أخيه هارون عليهما السلام إذ قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في دعائه حين أوحى اليه أولا * (وأشركه في أمري) * وكان هو الوصي فلما مات هارون في حال حياة موسى انتقلت الوصية إلى يوشع بن نون وديعة ليوصلها إلى شبير وشبر بني هارون قرارا وذلك ان الوصية والإمامة بعضها مستقر وبعضها مستودع
واليهود تدعى ان الشريعة لا تكون الا واحدة وهى ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به فلم تكن قبلة شريعة الا حدود عقلية واحكام مصلحية
ولم يجيزوا النسخ أصلا قالوا فلا يكون بعده شريعة أصلا لان النسخ في الأوامر بداء ولا يجوز البداء على الله تعالى
ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى التشبيه ونفيه والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واستحالتها

أما النسخ فكما ذكرنا
واما التشبيه فلانهم وجدوا التوراة ملئت من المتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكليم جهرا والنزول على طور سينا انتقالا والاستواء على العرش استقرارا وجواز الرؤية فوقا وغير ذلك
واما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الاسلام فالربانيون كالمعتزلة فينا والقراءون كالمجبرة والمشبهة
واما جواز الرجعة فإنما وقع لهم من امرين أحدهما حديث عزيز عليه السلام إذ اماته الله مائة عام ثم بعثه والثاني حذيث هارون عليه السلام إذ مات في التية وقد نسبوا موسى إلى قتله بالواحه قالوا حسده لان اليهود كانوا أميل اليه منهم إلى موسى واختلفوا في حال موته فمنهم من قال انه مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع
واعلم ان التوراة قد اشتملت بأسرها على دلالات وآيات تدل على كون شريعة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام حقا وكون صاحب الشريعة صادقا بل ما حرفوه وغيروه وبدلوه اما تحريفا من حيث الكتابة والصورة واما تحريفا من حيث التفسير والتأويل وأظهرها ذكر إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل ودعاؤه في حقه وفي حق ذريته وإجابة الرب تعالى إياه اني باركت على إسماعيل وأولاده وجعلت فيهم الخير كله وساظهرهم على الأمم كلها وسابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتي
واليهود معترفون بهذه القضية الا انهم يقولون اجابه بالملك دون النبوة والرسالة وقد ألزمتهم ان الملك الذي سلمتم أهو ملك بعدل وحق أم لا فان لم يكن بعدل وحق فكيف يمن على إبراهيم عليه السلام بملك في أولاده وهو جور وظلم وان سلمتم العدل والصدق من حيث الملك فالملك يجب ان يكون صادقا على الله تعالى فيما

يدعيه ويقوله وكيف يكون الكاذب على الله تعالى صاحب عدل وحق إذ لا ظلم أشد من الكذب على الله تعالى ففي تكذيبه تجويره وفي التجوير رفع المنة بالنعمة وذلك خلف

ومن العجب ان في التوراة ان الأسباط من بني إسرائيل كانوا يراجعون القبائل من بني إسماعيل ويعلمون ان في ذلك الشعب علما لدنيا لم تشتمل التوراة عليه وورد في التواريخ ان أولاد إسماعيل عليه السلام كانوا يسمون آل الله وأهل الله وأولاد إسرائيل آل يعقوب وآل موسى وآل هارون وذلك كسر عظيم

وقد ورد في التوراة ان الله تعالى جاء من طور سيناء وظهر بساعير وعلن بفاران وساعير جبال بيت المقدس التي كانت مظهر عيسى عليه السلام وفاران جبال مكة التي كانت مظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم

ولما كانت الاسرار الإلهية والأنوار الربانية في الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل على مراتب ثلاث مبدأ ووسط وكمال والمجيء أشبه بالمبدأ والظهور أشبه بالوسط والاعلان أشبه بالكمال عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء من طور سيناء وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير وعن البلوغ إلى درجة الكمال بالاستواء والاعلان عنلى فاران وفي هذه الكلمات اثبات نبوة المسيح عليه السلام والمصطفي محمد صلى الله عليه وسلم

وقد قال المسيح في الإنجيل ما جئت لابطل التوراة بل جئت لأكملها قال صاحب التوراة النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص وانا أقول إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فضع له خدك الأيسر والشريعة الأخيرة وردت بالامرين جميعا اما القصاص ففي قوله تعالى * (كتب عليكم القصاص في القتلى) *

واما العفو ففي قوله تعالى * (وأن تعفوا أقرب للتقوى) *
ففي احكام التوراة احكام السياسة الظاهرة العامة وفي الإنجيل أحكام السياسة الباطنة الخاصة وفي القرآن احكام السياستين جميعا * (ولكم في القصاص حياة) * إشارة إلى تحقيق السياسة الظاهرة وقوله تعالى * (وأن تعفوا أقرب للتقوى) * وقوله * (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) * إشارة إلى تحقيق السياسة الباطنة وقد قال عليه الصلاة والسلام هو ان تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك
ومن العجب ان من رأى غيره يصدق ما عنده ويكمله برقيه من درجة إلى درجة كيف يسوغ له تكذيبه والنسخ في الحقيقة ليس ابطالا بل هو تكميل
وفي التوراة أحكام عامة واحكام خاصة اما باشخاص واما بازمان وإذا انتهى الزمان لم يقى ذلك لا محالة ولا يقال انه ابطال أو بداء كذلك هاهنا
واما السبت فلو ان اليهود عرفوا لم ورد التكليف بملازمة السبت وهو يوم أي شخص من الاشخاص وفي مقابلة اية حالة من الأحوال وجزئي أي زمان عرفوا ان الشريعة الأخيرة حق وانها جاءت لتقرير السبت لا لابطاله وهم الذين عدوا في السبت حتى مسخوا قردة خاسئين وهم يعترفون بذلك وبان موسى عليه السلام بنى بيتا وصور فيه صورا واشخاصا وبين مراتب الصور وأشار إلى تلك الرموز ولكن لما فقدوا الباب باب حطة ولم يمكنهم النسور من سنن اللصوص تحيروا تائهين وتاهو متحيرين فاختلفوا على احدى وسبعين فرقة
ونحن نذكر منها اشهرها وأظهرها عندهم ونترك الباقي هملا والله الموفق

١ – العنانية
نسبوا إلى رجل يقال له عنان بن داود رأس جالوت يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد وينهون عن اكل الطير والظباء والسمك والجراد ويذبحون الحيوان على القفا ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه واشاراته ويقولون انه لم يخالف التوراة البتة بل قررها ودعا الناس إليها وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجبين لموسى عليه السلام الا انهم لا يقولون بنبوته ورسالته
ومن هؤلاء من يقول ان عبسى عليه السلام لم يدع انه نبي مرسل وليس من بني إسرائيل وليس هو صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين باحكام التوراة وليس الإنجيل كتابا انزل عليه وحيا من الله تعالى بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين فكيف يكون كتابا منزلا
قالوا واليهود ظلموه حيث كذبوه أولا ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه اخرا ولم يعلموا بعد محله ومغزاه وقد ورد في التوراة ذكر المشيحا في مواضع كثيرة وذلك هو المسيح ولكن لم ترد له النبوة ولا الشريعة الناسخة وورد فارقليط وهو الرجل العالم وكذلك ورد ذكره في الإنجيل فوجب حمله على ما وجد وعلى من ادعى غير ذلك تحقيقه وحده
٢ – العيسوية
نسبوا إلى أبي عيسى اسحق بن يعقوب الاصفهاني وقيل ان اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله كان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في زمن اخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات

وزعموا انه لما حورب خط على أصحابه خطا بعود آس وقال أقيموا في هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح فكان العدو يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفا من طلسم أو عزيمة ربما وضعها ثم ان ابا عيسى خرج من الخط وحده على فرسه فقاتل وقتل من المسلمين كثيرا وذهب إلى أصحاب موسى بن عمران الذين هم وراء النهر المرمل ليسمعهم كلام الله وقيل انه لما حارب أصحاب المنصور بالري قتل وقتل أصحابه

زعم أبو عيسى انه نبي وانه رسول المسيح المنتظر وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا بعد واحد وزعم ان الله تعالى كلمه وكلفه ان يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين وزعم ان المسيح أفضل ولد ادم وانه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين وإذ هو رسوله فهو أفضل الكل أيضا وكان يجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعي ويزعم أيضا ان الداعي هو المسيح

وحرم في كتابه الذبائح كلها ونهى على اكل كل ذي روح على الاطلاق طيرا كان أو بهيمة وأوجب عشر صلوات وأمر أصحابها بإقامتها وذكر أوقاتها وخالف اليهود في كثير من احكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة

وتوراة الناس هي التي جمعها ثلاثون حبرا لبعض ملوك الروم حتى لا يتصرف فيها كل جاهل بمواضع احكامها والله الموفق

٣ – المقاربة واليوذعانية

نسبوا إلى يوذعان من همدان وقيل كان اسمه يهوذا كان يحث على الزهد وتكثير الصلاة وينهى عن اللحوم والأنبذة وفيما نقل عنه تعظيم امر الداعي وكان يزعم ان للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتاويلا وخالف بتأويلاته عامة اليهود

وخالفهم في التشبيه ومال إلى القدر وأثبت الفعل حقيقة للعبد وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد في ذلك

ومنهم الموشكانية أصحاب موشكان كان على مذهب يوذعان غير انه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال معهم فخرج في تسعة عشر رجلا فقتل بناحية قم وذكر عن جماعة من الموشكانية انهم اثبتوا نبوة المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود لأنهم أهل ملة وكتاب

وزعمت فرقة من المقاربة ان الله تعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم وقالوا كل ما في التوراة وسائر الكتب من وصف الله تعالى فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز ان يوصف الله تعالى بوصف قالوا وان الذي كلم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك الملك والشجرة المذكورة في التوراة هو ذلك الملك ويتعالى الرب تعالى ان يكلم بشرا تكليما وحمل جميع ما ورد في التوراة من طلب الرؤية وشافهت الله وجاء الله وطلع الله في السحاب وكتب التوراة بيده واستوى على العرش استقرارا وله صورة ادم وشعر قطط ووفرة سوداء وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وانه ضحك الجبار حتى بدت نواجذه إلى غير ذلك على ذلك الملك قال ويجوز في العادة ان يبعث ملكا روحانيا من جملة خواصه ويلقي عليه اسمه ويقول هذا هو رسولي ومكانه فيكم مكاني وقوله قولي وأمره أمري وظهوره عليكم ظهوري كذلك يكون حال ذلك الملك

وقيل ان ارنوس حيث قال في المسيح انه هو الله وانه صفوة العالم اخذ قوله من هؤلاء وكانوا قبل ارنوس بأربعمائة سنة وهم أصحاب زهد وتقشف

وقيل صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندي وقرر لهم هذا المذهب واعلمهم ان الآيات المتشابهات في التوراة كلها مؤولة وانه تعالى لا يوصف بأوصاف البشر ولا يشبه

شيئا من المخلوقات ولا يشبه شيء منها وان المراد بهذه الكلمات الواردة في التوراة ذلك الملك العظيم
وهذا كما يحمل في القرآن المجيء والاتيان على اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال تعالى في حق مريم عليها السلام * (فنفخنا فيها من روحنا) * وفي موضع اخر * (فنفخنا فيه من روحنا) * وانما النافخ جبريل عليه السلام حين تمثل لها بشرا سويا ليهب لها غلاما زكيا
٤ – السامرة
هؤلاء قوم يسكنون جبال بيت المقدس وقرايا من اعمال مصر ويتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود اثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام وانكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء الا نبيا واحدا وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبي واحد يأتي من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتة وظهر في السامرة رجل يقال له الألفان ادعى النبوة وزعم انه هو الذي بشر به موسى عليه السلام وانه هو الكوكب الدري الذي ورد في التوراة انه يضيء ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنه
وافترقت السامرة إلى دوستانية وهم الالفانية والى كوستانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوستانية معناها الجماعة الصادقة وهم يقرون بالآخرة

والثواب والعقاب فيها والدوستانية تزعم ان الثواب والعقاب في الدنيا وبين الفريقين اختلاف في الاحكام والشرائع

وقبلة السامرة جبل يقال له غريزيم بين بيت المقدس ونابلس قالوا ان الله تعالى امر داود ان يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وتحول داود إلى ايلياء وبنى البيت ثمة وخالف الامر فظلم والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود ولغتهم غير لغة اليهود وزعموا ان التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت إلى السريانية

فهذه اربع فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق إلى احدى وسبعين فرقة

وهم بأسرهم اجمعوا على ان في التوراة بشارة بواحد بعد موسى وانما افتراقهم اما في تعيين ذلك الواحد أو في الزيادة على ذلك الواحد وذكر المشيحا واثاره ظاهر في الاسفار وخروج واحد في اخر الزمان هو الكوكب المضيء الذي تشرق الأرض بنوره أيضا متفق عليه واليهود على انتظاره والسبت يوم ذلك الرجل وهو يوم الاستواء بعد الخلق

وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على ان الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا احدى رجليه على الأخرى

وقالت فرقة منهم ان ستة الأيام التي خلق الله تعالى فيها السماوات والأرض هي ستة آلاف سنة فان يوما عند الله كألف سنة مما تعدون بالسير القمري وذلك هو ما مضى من لدن ادم عليه السلام إلى يومنا هذا وبه يتم الخلق ثم إذا بلغ الخلق إلى النهاية ابتداء الامر ومن ابتداء الامر يكون الاستواء على العرش والفراغ من الخلق وليس ذلك امرا كان ومضى بل هو في المستقبل إذا عددنا الأيام بالألوف

الفصل الثاني
النصارى
النصارى أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته عليه السلام وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام المبشر به في التوراة وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة ودلائل باهرة مثل احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه وذلك حصوله على غير نطفة سابقة ونطفة البين من غير تعليم سالف وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون سنه وقد أوحى الله تعالى اليه انطلاقا في المهد وأوحى اليه ابلاغا عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة أيام فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه وانما اختلافاتهم تعود إلى امرين أحدهما كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة
والثاني كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة
اما الأول فإنهم قضوا بتجسد الكلمة ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلام فمنهم من قال أشرق على الجسد اشراق النور على الجسم المشف ومنهم من قال انطبع فيه انطباع النقش في الشمع ومنهم من قال ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن واثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة قالوا الباري تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والحجمية فهو واحد بالجوهرية ثلاثة

بالأقنومية ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم وسموها الأب والابن وروح القدس وانما العلم تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم
وقالوا في الصعود انه قتل وصلب قتله اليهود حسدا وبغيا وانكارا لنبوته ودرجته ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي وانما ورد على الجزء الناسوتي قالوا وكمال الشخص الانساني في ثلاثة أشياء نبوة وامامة وملكه وغيره من الأنبياء كانوا موصوفين بهذه الصفات الثلاثة أو ببعضها والمسيح ليه السلام درجته فوق ذلك لأنه لابن الوحيد فلا نظير له ولا قياس له إلى غيره من الأنبياء وهو الذي به غقرت عغرت زلة ادم عليه السلام وهو الذي يحاسب الخلق
ولهم في النزول اختلاف فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال قتل أهل الاسلام ومنهم من يقول لا نزول له الا يوم الحساب وهو بعد ان قتل وصلب نزل ورأى شخصه شمعون الصفا وكلمه وأوصى اليه ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء فكان وصية شمعون الصفا وهو أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا غير ان فولوس شوش امره وصير نفسه شريكا له وغير أوضاع كلامه وخلطه بكلام الفلاسفة ووساوس خاطره ورأيت رسالة فولوس التي كتبها إلى اليونانيين انكم تظنون ان مكان عيسى عليه السلام كمكان سائر الأنبياء وليس كذلك بل انما مثله مثل ملكيز داق وهو ملك السلام الذي كان إبراهيم عليه السلام يعطي اليه العشور وكان يبارك على إبراهيم ويمسح رأسه ومن العجب انه نقل في الأناجيل ان الرب تعالى قال انك أنت الابن الوحيد ومن كان وحيدا كيف يمثل بواحد من البشر
ثم ان أربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جمعا سماه الإنجيل وهم متى ولوقا ومرقس ويوحنا وخاتمة إنجيل متى انه قال اني ارسلكم إلى الأمم كما ارسلني
أبي إليكم فاذهبوا وادعوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس

وفاتحة إنجيل يوحنا على القديم الأزلي كانت الكلمة وهو ذا الكلمة كانت عند الله والله هو كان الكلمة وكل كان بيده

ثم افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاثة الملكانية والنسطورية واليعقوبية وانشعبت منها الاليانية والبليارسية والمقدانوسية والسبالية والبوطينوسية والبولية إلى سائر الفرق

١ – الملكانية

أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة أقنوم العلم ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم ان الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن وصرحت الملكانية ان الجوهر غير الافانيم وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا باثبات التثليث واخبر عنهم القرآن * (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) * وقالت الملكانية ان المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي من قديم أزلي وقد ولدت مريم عليها السلام الها أزليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا واطلقوا لفظ الأبوة والنبوة على الله عز وجل وعلى المسيح لما وجدوا في الإنجيل حيث قال انك أنت الابن الوحيد وحيث قال له شمعون الصفا انك ابن الله حقا لعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا أبناء الدنيا ولطلاب الآخرة أبناء الآخرة وقد قال المسيح عليه السلام للحواريين انا أقول لكم أحبوا أعداءكم

وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل من يؤذيكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء الذي تشرق شمسه على الصالحين والفجرة وينزل قطره على الأبرار والأئمة وتكونوا تامين كما ان أباكم الذي في السماء تام وقال انظروا صدقاتكم فلا تعطوها قدام الناس لتراءوهم فلا يكون لكم اجر عند أبيكم الذي في السماء وقال حين كان يصلب اذهب إلى أبي وأبيكم

ولما قال أريوس القديم هو الله والمسيح هو مخلوق اجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا واتفقوا على هذه الكلمة اعتقادا ودعوة وذلك قولهم

نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء من اجلنا ومن اجل معشر الناس ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البتول وقتل وصلب أيام فيلاطوس ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى بين الأموات والأحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية وبقيام أبداننا والحياة الدائمة ابد الابدين

هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات وفيه إشارة على حشر الأبدان

وفي النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان وقال ان عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم وأنكروا ان يكون في الجنة نكاح واكل وشرب وقال مار اسحق منهم ان الله تعالى وعد المطيعين وتوعد العاصين ولا يجوز ان

يخلف الوعد لأنه لا يليق بالكريم ولكن يخلف الوعيد فلا يعذب العصاة ويرجع الخلق إلى سرور وسعادة ونعيم وعمم هذا الكل إذ العقاب الأبدي لا يليق بالجواد الحق تعالى

٢ – النسطورية

أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه واضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة قال ان الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الأقاليم ليست زائدة على الذات ولا هي هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس في كوة على بلورة وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم وأشبه المذاهب بمذهب نسطور في الأقانيم أحوال أبى هاشم من المعتزلة فإنه يثبت خواص مختلفة لشئ واحد ويعنى بقوله واحد يعنى الاله قال هو واحد بالجوهر اى ليس هو مركبا من جنسين بل هو بسيط وواحد ويعنى بالحياة والعلم اقنومين جوهرين اى أصلين مبدأين للعالم ثم فسر العلم بالنطق والكلمة ويرجع منتهى كلامه إلى اثبات كونه تعالى موجودا حيا ناطقا كما تقول الفلاسفة في حد الانسان الا ان هذه المعاني تتغاير في الانسان لكونه جوهرا مركبا وهو جوهر بسيط غير مركب

وبعضهم يثبت لله تعالى صفات اخر بمنزله القدرة والإرادة ونحوهما ولم يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم اقنومين

ومنهم من اطلق القول بان كل واحد من الأقانيم الثلاثة حي ناطق اله وزعم الباقون ان اسم الاله لا يطلق على كل واحد من الأقانيم

وزعموا ان الابن لم يزل متولدا من الأب وانما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد

والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت فهو اله وانسان اتحدا وهما جوهران اقنومان طبيعتان جوهر قديم وجوهر محدث إله تام وإنسان تام ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحا واحدا طبيعة واحدة وربما بدلوا العبارة فوضع مكان الجوهر الطبيعة ومكان الأقنوم الشخص

وأما قولهم في القتل والصلب فيخالف قول الملكانية واليعقوبية قالوا ان القتل وقع على المسيح من جهة ناسوتة لا من جهة لاهوته لأن الاله لا تحله الآلام

وبوطينوس وبولس الشمشاطى يقولان ان الاله واحد وان المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام وانه عبد صالح مخلوق الا ان الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابنا على التبني لا على الولادة والاتحاد

ومن النسطورية قوم يقال لهم المصلين قالوا في المسيح مثل ما قال نسطور الا انهم قالوا إذا اجتهد الرجل في العبادة وترك التغذى باللحم والدسم ورفض الشهوات الحيوانية والنفسانية تصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السماوات ويرى الله تعالى جهرة وينكشف له ما في الغيب فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء

ومن النسطورية من ينفى التشبيه ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية

٣ - اليعقوبية

أصحاب اليعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة كما ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو وعنهم أخبرنا القرآن الكريم * (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) *

فمنهم من قال ان المسيح هو الله تعالى
ومنهم من قال ظهر الاهوت بالناسوت فصار الناسوت المسيح مظهر الجوهر لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة انسان أو ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما اخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام * (فتمثل لها بشرا سويا) *
وزعم أكثر اليعقوبية ان المسيح جوهر واحد أقنوم واحد الا انه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا تركيبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا اقنوما واحدا وهو انسان كله وإله كله فيقال الانسان صار الها ولا ينعكس فلا يقال الإله الانسان صار كالفحمة تطرح في النار فيقال صارت الفحمة نارا ولا يقال صارت النار فحمة وهى في الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة بل هي جمرة وزعموا ان الكلمة اتحدت بالانسان الجزئي لا الكلى ولربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع والحلول كحلول صورة الانسان في المرآة المجلوة
واجمع أصحاب التثليث كلهم على ان القديم لا يجوز ان يتحد بالمحدث الا ان الأقنوم الثاني الذي هو الكلمة اتحدت دون سائر الأقانيم
وأجمعوا كلهم على ان المسيح عليه السلام ولد من مريم عليها السلام وقتل وصلب ثم اختلفوا في كيفية ذلك فقالت الملكانية واليعقوبية ان الذي ولد من مريم هو الاله فالملكانية لما اعتقدت ان المسيح ناسوت كلى أزلي قالوا ان مريم انسان جزئي والجزئي لا يلد الكلى وانما ولده الأقنوم القديم واليعقوبية لما اعتقدت ان

المسيح هو جوهر من جوهرين وهو إله وهو المولود قالوا ان مريم ولدت إلها تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
وكذلك قالوا في القتل والصلب انه وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين قالوا ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد
وزعم بعضهم انا نثبت وجهين للجوهر القديم فالمسيح قديم من وجه محدث من وجه
وزعم قوم من اليعقوبية ان الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا ولكنها مرت بها كالماء بالميزاب وما ظهر بها من شخص المسيح في الأعين فهو كالخيال والصورة في المرآة والا فما كان جسما متجسما كثيفا في الحقيقة وكذلك القتل والصلب انما وقع على الخيال والحسبان هؤلاء يقال لهم الاليانية وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية قالوا وإنما صلب الاله من اجلنا حتى يخلصنا وزعم بعضهم ان الكلمة كانت تداخل جسم المسيح عليه السلام أحيانا فتصدر عنه الآيات من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وتفارقه في بعض الأوقات فترد عليه الآلام والأوجاع
ومنهم بليارس وأصحابه حكا عنه انه كان يقول إذا صار الناس إلى الملكوت الاعلى اكلوا الف سنه وشربوا وناكحوا ثم صاروا إلى النعم التي وعدهم آريوس وكلها لذة وراحة وسرور وحبور لا اكل فيها ولا شرب ولا نكاح
وزعم مقدانيوس ان الجوهر القديم اقنومان فحسب آب وابن والروح مخلوق
وزعم سباليوس ان القديم جوهر واحد أقنوم واحد له ثلاث خواص واتحد بكليته بجسد عيسى ابن مريم عليهما السلام
وزعم آريوس ان الله واحد سماه آبا وإن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء وهو مخلوق قبل خلق العالم وهو خالق الأشياء وزعم ان الله تعالى روحا

مخلوقة أكبر من سائر الأرواح وانها واسطة بين الأب والابن تؤدى اليه الوحي
وزعم ان المسيح ابتدأ جوهرا لطيفا روحانيا خالصا غير مركب ولا ممزوج بشيء من
الطبائع الأربع وانما تدرع بالطبائع الأربع عند الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم
وهذا آريوس قبل الفرق الثلاث فتبرءوا منه لمخالفتهم إياه في المذهب

الباب الثالث
من له شبهة كتاب
(ا) قد بينا كيفية تحقيق الكتاب وميزنا بين حقيقة الكتاب وشبهة الكتاب وان الصحف التي كانت لإبراهيم عليه السلام كانت شبهة كتاب وفيها مناهج علمية ومسالك عملية اما العلميات فتقرير كيفية الخلق والابداع وتسوية المخلوقات على سنة نظام وقوام تحصل منها حكمته الأزلية وتنفذ فيها مشيئته السرمدية ثم تقرير التقدير والهداية عليها ليتقدر كل نوع وصنف بقدره المحكوم المحتوم ويقبل هدايته السارية في العالم بقدر استعداده المعلوم والعلم كل العلم لا يعدو هذين النوعين وذلك قوله تعالى * (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) * وقال عز وجل خبرا عن إبراهيم عليه السلام * (الذي خلقني فهو يهدين) * وخبرا عن موسى عليه السلام * (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) *
واما العمليات فتزكيه النفوس عن درن الشبهات وذكر الله تعالى بإقامة العبادات ورفض الشهوات الدنيوية وايثار السعادات الأخروية ولن يحصل البلوغ إلى كمال المعاد الا بإقامة هذين الركنين اعني الطهارة والشهادة والعمل كل العمل لا يعدو هذين

النوعين وذلك قوله تعالى * (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) * ثم قال عز من قال * (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) * فبين ان الذي اشتملت عليه الصحف هو الذي اشتملت عليه هذه السورة وبالحقيقة هذا هو الاعجاز الحقيقي

ب المجوس وأصحاب الاثنين والمانوية وسائر فرقهم المجوسية يقال لها الدين الأكبر والملة العظمى إذ كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام بعد إبراهيم الخليل عليه السلام لم تكن في العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثل الملة الحنيفية إذ كانت ملوك العجم كلها على ملة إبراهيم عليه السلام وجميع من كان في زمان كل واحد منهم من الرعايا في البلاد على أديان ملوكهم وكان لملوكهم مرجع هو موبذ موبذان يعنى اعلم العلماء واقدم الحكماء يصدرون عن امره ولا يخالفونه ولا يرجعون الا إلى رأيه ويعظمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت

وكانت دعوة بنى إسرائيل أكثرها في بلاد الشام وما وراءها من المغرب وقل ما سرى ذلك إلى بلاد العجم

وكانت الفرق في زمان إبراهيم الخليل عليه السلام راجعة إلى صنفين اثنين أحدهما الصابئة والثاني الحنفاء

فالصابئة كانت تقول انا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره واحكامه إلى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب ان يكون روحانيا لا جسمانيا وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب

مما نشرب يماثلنا في المادة والصورة قالوا * (ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون) *
والحنفاء كانت تقول انا نحتاج في المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر تكون درجته في الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية فيتلقى الوحي بطرف الروحانية ويلقى إلى نوع الانسان يطرف البشرية وذلك قوله تعالى * (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) * وقال عز ذكره * (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) *
ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البحتة والتقرب إليها بأعيانها والتلقي عنها بذواتها فزعت جماعة إلى هياكلها وهى السيارات السبع وبعض الثوابت فصابئة النبط والفرس والروم مفزعها السيارات وصابئة الهند مفزعها الثوابت
وسنذكر مذاهبهم على التفصيل على قدر الامكان بتوفيق الله تعالى وربما نزلوا عن الهياكل إلى الاشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئا والفرقة الأولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الأصنام
ولما كان الخليل عليه السلام مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية السمحة السهلة احتج على عبدة الأصنام قولا وفعلا كسرا من حيث القول وكسرا من حيث الفعل فقال لأبيه آزر * (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) * الآيات حتى بلغ * (فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم) * وذلك الزام من

حيث الفعل وافحام من حيث الكسر ففرغ من ذلك كما قال الله تعالى * (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) * وابتدأ بابطال مذاهب عبدة الكواكب على صيغة الموافقة كما قال تعالى * (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض) * اى كما آتيناه الحجة كذلك نريه المحجة فساق الالزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدا والمخالفة في النهاية ليكون الالزام أبلغ والافحام أقوى والا فإبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن في قوله * (هذا ربي) * مشركا كما لم يكن في قوله * (بل فعله كبيرهم هذا) * كاذبا وسوق الكلام من جهة الالزام غير سوقة على جهة الالتزام فلما اظهر الحجة وبين المحجة وقرر الحنيفية التي هي الملة الكبرى والشريعة العظمى وذلك هو الدين القيم وكان الأنبياء من أولاده كلهم يقررون الحنيفية وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه كان في تقريرها قد بلغ النهاية القصوى وأصحاب المرمى وأصمى ومن العجب ان التوحيد من أخص أركان الحنيفية ولهذا يقترن نفى الشرك بكل موضع ذكر الحنيفية * (حنيفا وما كان من المشركين) * * (حنفاء لله غير مشركين به) * ثم ان التثنية اختصت بالمجوس حتى اثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد يسمون أحدهما النور والاخر الظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن ولهم في ذلك تفصيل مذهب

ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين إحداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والاخلاص معادا

الفصل الأول
المجوس
اثبتوا أصلين كما ذكرنا الا ان المجوس الأصلية زعموا ان الأصلين لا يجوز ان يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة محدثة ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها امن النور حدثت والنور لا يحدث شرا جزئيا فكيف يحدث أصل الشر أم من شئ اخر ولا شيء يشرك النور في الاحداث والقدم وبهذا يظهر خبط المجوس
وهؤلاء يقولون المبدأ الأول من الاشخاص كيومرث وربما يقولون زروان الكبير والنبي الثاني زردشت والكيومرثية يقولون كيومرث هو آدم عليه السلام وتفسير كيومرث هو الحي الناطق وقد ورد في تواريخ الهند والعجم ان كيومرث هو آدم عليه السلام ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ
١ – الكيومرثية
أصحاب المقدم الأول كيومرث اثبتوا أصلين يزدان وأهرمن وقالوا يزدان أزلي قديم وأهرمن مدحث مخلوق وقالوا ان سبب خلق اهرمن ان يزدان فكر في نفسه انه لو كان لي منازع كيف يكون وهذه الفكرة كانت رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى اهرمن وكان مطبوعا على الشر والفتنة والفساد والفسق والضرر والاضرار فخرج على النور وخالفه طبيعة وفعلا وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم ان الملائكة توسطوا فصالحوا على ان

يكون العالم السفلى خالصا لاهرمن سبعة آلاف سنة ثم يخلى العالم ويسلمه إلى النور والذين كانوا في الدنيا قبل الصلح أبادهم وأهلكهم ثم بدأ برجل يقال له كيومرث وحيوان يقال له ثور فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس وخرج من أصل ريباس رجل يسمى ميشه وامرأة تسمى ميشانة وهما أبو البشر ونبت من مسقط الثور الانعام وسائر الحيوانات

وزعموا ان النور خير الناس وهم أرواح بلا أجساد بين ان يرفعهم عن مواضع اهرمن وبين ان يلبسهم الأجساد فيحاربون اهرمن فاختاروا لبس الأجساد ومحاربة اهرمن على ان تكون لهم النصرة من عند النور والظفر بجنود اهرمن وحسن العاقبة وعند الظفر به اهلاك جنوده تكون القيامة

فذاك سبب الامتزاج وهذا سبب الخلاص

٢ – الزروانية

قالوا ان النور ابدع اشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية ولكن الشخص الأعظم الذي اسمه زروان شك في شيء من الأشياء فحدث اهرمن الشيطان يعنى إبليس من ذلك الشك

وقال بعضهم لا بل ان زروان الكبير قام فزمزم تسعة آلاف وتسعمائة وتسعا وتسعين سنة ليكون له ابن فلم يكن ثم حدث نفسه وفكر وقال لعل هذا العلم ليس بشيء فحدث اهرمن من ذلك الهم الواحد وحدث هرمز من ذلك العلم فكانا جميعا في بطن واحد وكان هرمز أقرب من باب الخروج فاحتال اهرمن الشيطان حتى شق بطن أمه فخرج قبله واخذ الدنيا

وقيل انه لما مثل بين يدي زروان فأبصر ورأى ما فيه الخبث والشرارة والفساد ابغضه ولعنه وطرده فمضى واستولى على الدنيا واما هرمز فبقى زمانا لا يد له

عليه وهو الذي اتخذه قوم ربا وعبدوه لما وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح وحسن الخلق

وزعم بعض الزروانية انه لم يزل كان مع الله شيء رديء اما فكرة رديئة واما عفونة رديئة وذلك هو مصدر الشيطان وزعموا ان الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن وكان أهلها في حير محص ونعيم خالص فلما حدث اهرمن حدثت الشرور والآفات والفتن والمحن وكان بمعزل عن السماء فاحتال حتى خرق السماء وصعد وقال بعضهم كان هو في السماء والأرض خالية عنه فاحتال حتى خرق السماء ونزل إلى الأرض بجنوده كلها فهرب النور بملائكته واتبعه الشيطان حتى حاصره في جنته وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا يصل الشيطان إلى الرب تعالى ثم توسط الملائكة وتصالحا على ان يكون إبليس وجنوده في قرار الأرض تسعة آلاف سنة بالثلاثة آلاف التي قاتله فيها ثم يخرج إلى موضعه ورأى الرب تعالى عن قولهم الصلاح في احتمال المكروه من إبليس وجنوده وان لا ينقض الشرط حتى تنقضى المدة المضروبة للصلح فالناس في البلايا والفتن والخزايا والمحن إلى انقضاء المدة ثم يعودون إلى النعيم الأول وشرط إبليس عليه ان يمكنه من أشياء يفعلها ويطلقه في افعال رديئة يباشرها فلما فرغا من الشرط اشهد عليهما عدلين ودفعا سيفيهما اليهما وقالا لهما من نكث فاقتلاه بهذا السيف

ولست أظن عاقلا يعتقد هذاالرأى القائل ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله كان رمزا إلى ما يتصور في العقل ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع مثل هذه الترهات سمعه

وأقرب من هذا ما حكاه أبو حامد الزوزنى ان المجوس زعمت ان إبليس كان لم يزل في الظلمة والجو خلاء بمعزل عن سلطان الله ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيله حتى رأى النور

فوثب وثبة فصار في سلطان الله في النور وادخل معه هذه الآفات والشرور فخلق الله تعالى هذا العالم شبكة فوقع فيها وصار متعلقا بها لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه فهو محبوس في هذا العالم مضطرب في الحبس يرمى بالآفات والمحن والفتن إلى خلق الله تعالى فمن أحياه الله رماه بالموت ومن اصحه رماه بالسقم ومن سره رماه بالحزن فلا يزال كذلك إلى يوم القيامة وفي كل يوم ينقص سلطانه حتى لا تبقى له قوة فإذا كانت القيامة ذهب سلطانه وخمدت نيرانه وزالت قوته واضمحلت قدرته فيطرحه في الجو والجو ظلمة ليس لها حد ولا منتهى ثم يجمع الله تعالى أهل الأديان فيحاسبهم ويجازيهم على طاعة الشيطان وعصيانه

واما المسخية فقالت ان النور كان وحده نورا محضا ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة وكذلك الخرمدينية قالوا بأصلين ولهم ميل إلى التناسخ والحلول وهم لا يقولون بأحكام وحلال وحرام

ولقد كان في كل أمة من الأمم قوم مثل الإباحية والمزدكية والزنادقة والقرامطة كان تشويش ذلك الدين منهم وفتنة الناس مقصورة عليهم

٣ – الزردشتية

أولئك أصحاب زردشت بن يورشب الذي ظهر في زمان كشتاسب بن لهراسب الملك وأبوه كان من آذربيجان وأمه من الري واسمها دغدوية

وزعموا ان لهم أنبياء وملوكا أولهم كيومرث وكان أول من ملك الأرض وكان مقامه بإصطخر وبعده اوشنهك بن فراوك ونزل ارض الهند وكانت له دعوة ثمة وبعده طمهودت وظهرت الصابئة في أول سنة من ملكه وبعده اخوه جم الملك ثم بعده أنبياء وملوك منهم منوجهر ونزل بابل واقام بها وزعموا ان موسى

عليه السلام ظهر في زمانه حتى انتهى الملك إلى كشتاسب بن لهراسب وظهر في زمانه زردشت الحكيم

وزعموا ان الله عز وجل خلق من وقت ما في الصحف الأولى والكتاب الاعلى من ملكوته خلقا روحانيا فلما مضت ثلاثة آلاف سنة انفذ مشيئته في صورة من نور متلألىء على تركيب صورة الانسان واحف به سبعين من الملائكة المكرمين وخلق الشمس والقمر والكواكب والأرض وبنى آدم غير متحركة ثلاثة آلاف سنة ثم جعل روح زردشت في شجرة أنشأها في أعلى عليين واحف بها سبعين من الملائكة المكرمين وغرسها في قلة جبل من جبال آذربيجان يعرف باسمو يذخر ثم مازج شبح زردشت بلبن بقرة فشربه أبو زردشت فصار نطفة ثم مضغة في رحم أمه فقصدها الشيطان وعيرها فسمعت أمه نداء من السماء فيه دلالة على برئها فبرئت ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر فاحتالوا على زردشت حتى وضعوه بين مدرجة البقر ومدرجة الخيل ومدرجة الذئب فكان ينهض كل واحد منهم لحمايته من جنسه ونشأ بعد ذلك إلى ان بلغ ثلاثين سنة فبعثه الله تعالى نبيا ورسولا إلى الخلق فدعا كشتاسب الملك فأجابه إلى دينه وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث

وقال النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك يزدان واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والبارى تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا يجوز ان ينسب اليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان إلى ان يغلب النور الظلمة والخير الشر ذثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر ينحط إلى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والبارى

تعالى هو الذي مزجهما وخلطهما لحكمة رآها في التراكيب وربما جعل النور أصلا وقال وجوده وجود حقيقي واما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص فإنه يرى انه موجود وليس بموجود حقيقة فابدع النور وحصل الظلام تبعا لان من ضرورة الوجود التضاد فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الأول كما ذكرنا في الشخص والظل

وله كتاب قد صنفه وقيل ان ذلك انزل عليه وهو زند أوستا يقسم العالم قسمين مينه وكيتى يعنى الروحاني والجسماني أو الروح والشخص وكما قسم الخلق إلى عالمين يقول ان ما في العالم ينقسم قسمين بخشش وكنش يريد به التقدير والفعل وكل واحد مقدر على الثاني ثم يتكلم في موارد التكليف وهى حركات الانسان فيقسمها ثلاثة اقسام منش وكويش وكنش يعنى بذلك الاعتقاد والقول والعمل وبالثلاثة يتم التكليف فإذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة وإذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الامر والشريعة فاز الفوز الأكبر

وتدعى الزردشتية له معجزات كثيرة منها دخول قوائم فرس كشتاسب في بطنه وكان زردشت في الحبس فأطلقه فانطلقت قوائم الفرس ومنها انه مر على أعمى بالدينور فقال خذوا حشيشه وصفها لهم واعصروا ماءها في عينه فإنه يبصر ففعلوا فأبصر الأعمى وهذا من جملة معرفة بخاصية الحشيش وليس من المعجزات في شئ

ومن المجوس الزردشتية صنف يقال لهم السيسانية والبهافريدية رئيسهم رجل يقال له سيسان من رستاق نيسابور من ناحية يقال لها خواف خرج في أيام أبى مسلم صاحب الدولة وكان زمزميا في الأصل يعبد النيران ثم ترك ذلك ودعا المجوس إلى ترك الزمزمة ورفض عبادة النيران ووضع لهم كتابا امرهم فيه بارسال الشعور وحرم عليهم الأمهات والبنات والأخوات وحرم عليهم الخمر وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وهم يتخذون الرباطات ويتبادلون الأموال ولا يأكلون الميتة ولا يذبحون

الحيوان حتى يهرم وهم اعدى خلق الله للمجوس الزمازمة ثم ان موبذ المجوس رفعه إلى أبى مسلم فقتله على باب الجامع بنيسابور وقال أصحابه انه صعد إلى السماء على برذون اصفر وانه سينزل على البرذون فينتقم من أعدائه وهؤلاء قد أقروا بنبوة زردشت وعظموا الملوك الذين يعظمهم زردشت

ومما اخبر به زردشت في كتاب زند أوستا انه قال سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه اشيزريكا ومعناه الرجل العالم يزين العالم بالدين والعدل ثم يظهر في زمانه بتياره فيوقع الآفة في امره وملكه عشرين سنة ثم يظهر بعد ذلك اشيزريكا على أهل العلم ويحيى العدل ويميت الجور وبرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول وتنقاد له الملوك وتتيسر له الأمور وينصر الدين والحق ويحصل في زمانه الامن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن

مقالة زردشت في المبادئ

وقد أورد الجيهانى احدى مقالات زردشت في المبادئ وهى ان دين زردشت هو الدعوة إلى دين مارسيان وان معبوده اورمزد والملائكة المتوسطون في رسالاته اليه بهمن وأرديبهشت وشهريور واسفندارمز وخرداد ومرداد وقد رآهم زردشت واستفاد منهم العلوم وجرت مساءلات بينه وبين اورمزد من غير توسط

أولها قال زردشت ما الشئ الذي كان ويكون وهو الان موجود قال اورمزد اما والدين والكلام اما الدين فعمل أورمزد وكلامه وإيمانا وأما الكلام فكلامه والدين أفضل من الكلام إذ العمل أفضل من القول وأول من ابدع من الملائكة بهمن وعلمه الدين وخصه بموضع النور مكانا وأقنعه بذاته ذاتا فالمبادىء على هذا الرأي ثلاثة

السؤال الثاني قال لم لم تخلق الأشياء كلها في زمان غير متناه إذ قد جعلت الزمان نصفين نصفه متناه ونصفه غير متناه فلو خلقتها في زمان غير متناه كان لا يستحيل شئ منها

قال اورمزد فان كان لا يمكن أن تفنى ثم آفات الأثيم إبليس السؤال الثالث قال مماذا خلقت هذا العالم قال اورمزد خلقت جميع هذا العالم من نفسي اما أنفس الأبرار فمن شعر رأسي واما السماء فمن أم رأسي والظفر والمعاضد فمن جبهتي والشمس فمن عيني والقمر فمن انفى والكواكب فمن لساني وسروس وسائر الملائكة فمن اذني والأرض فمن عصب رجلي واريت هذا الدين أولا كيومرث فشعر به وحفظه من غير تعلم ولا مدارسة

قال زردشت فلماذا أريت هذا الدين كيومرث بالوهم وألقيته إلى بالقول قال اورمزد لأنك تحتاج ان تتعلم هذا الدين وتعلمه غيرك وكيومرث لم يجد من يقبله فأمسك عن التكلم وهذا خير لك لانى أقول وأنت تسمع وأنت تقول والناس يسمعون ويقبلون

فقال زردشت لأورمزد هل أريت هذا الدين أحدا قبلي غير كيومرث قال بلى أرأيت هذا الدين جم خمسين نجما مخمسا من اجل انكاره الضحاك قال إذا كنت عالما انه لا يقبله فلماذا اريته قال لو لم أره لما صار إليك وقد أريته أيضا افريدون وكيكاوس وكيقباد وكشتاسب

قال زردشت خلقك العالم وترويجك الدين لاي شيءقال لان فناء العفريت الأثيم لا يمكن الا بخلق العالم وترويج الدين ولو لم يتروج امر الدين لما أمكن ان تتروج أمور العالم

فلما اخذ زردشت الدين من اورمزد الوهاب واستحكمه وعمل به وزمزم في بيت أبيه

عليه غاظ ذلك كون الأثيم واقلقه إذ كان شريرا ممتلئا موتا وظلمة وبلاء ومحنة فدعا بشياطينه واسماؤهم برى ديوانياخ ودويهمان زوش ونومربفناردیو وأمرهم جميعا بالمسير إلى زردشت وقتله فعلم زردشت بذلك فقرأوزمزم واراق الماء على يدي مارسيان فانهزموا عنه مقهورين وجرت محاربات أخرى فهزمهم زردشت بإحدى وعشرين آية من كتابه اوستا وتوارت الشياطين عن الناس

ولما بلغ زردشت مبلغ الكمال بأربعين سنة وتمت له المخاطبات في سبع عودات إلى اورمزد أكمل فيها معرفة شرائع دين الله وفرائضه وسننه امره الله بالمسير إلى كشتاسب الملك واظهار ذكر الله واسمه فنفذ لامر الله ودعا ملكين كانا بذلك الصقع يقال لهما فوربماراى وبيويدست فدعاهما إلى دين الله والكفر بالشيطان وفعل الخير واجتناب الشر فلم يقبلا قوله وأخذتها العزة بالإثم فجاءتهما ريح فحملتها من الأرض ووقفت بهما في الهواء واجتمع الناس ينظرون اليهما فغشيهما الطير من كل ناحية واتو على لحومهما وسقطت عظامهما على الأرض

ولما بلغ كشتاسب لقى منه كل ما انبأه به اورمزد من الحبس والبلاء حتى حدث امر الفرس الذي دخلت قوائمه في باطن بدنه حتى لم ير اثرها في جسده واستبهم حاله على الناس وتحيروا واخرجه كشتاسب من الحبس وسأله الحال فقال تلك اية من آيات صدقي الذي اخبرني به الهى وخالقى وشارطهم على الايمان به ان هو دعا واخرج قوائم الفرس وشرطوا ودعا بأسم الله فخرجت قوائم الفرس كما كانت فآمن به كشتاسب وامر بجمع علماء أهل زمانه من بابل وإيران شهر وأمرهم بمحاورة زردشت فناظروه فاعترفوا له بالفضيلة

قال ومما جاء به زردشت المصطفى من دين مارسيان ان الهه اورمزد لم يزل ولم يزل معه شئ سماه أسنى اسنه وهو شئ مضيء حوله وهو فوق وان إبليس لم يزل معه شئ سماه استاه استاه وهو مظلم حوله وهو أسفل

وأول ما خلق الله من الملائكة بهمن ثم اردیبهشت ثم شهریور ثم اسفندارمز ثم خرداد ثم مرداد وخلق بعضهم من بعض كما يؤخذ السراج من السراج من غير ان ينقص من الأول شئ وقال لهم من ربكم وخالقكم فقالوا أنت ربنا وخالقنا وعلم اورمزد ان إبليس سيتحرك من ظلمته فأعلم بذلك الملائكة وبدأ باعداد ما يورطه ويدفع شره واذاه عن عالمه ويبطل ارادته فخلق السماء في خمسة وأربعين يوما وسمى كاهينازى شورم ومعناه ظهور ضمائر أهل الدنيا إلى سائر الكاهينازات المذكورات عندهم وخلق الأرض في خمسة وأربعين يوما

وأول من ابتعثه اورمزد إلى الأرض كيومرث وقد كان يستنشق النسيم ثلاثة آلاف سنة ثم اخرجه في قامة ثلاثة رجال ولما ان جاء وقت تحريك إبليس في ظلمته ارتفع ورأى النور وطمع في الاستيلاء على أسنى اورمزد وتصييره مظلما ودخل السماء يكيد ثم لكيومرث ثلاثين سنة وصارت نطفته ثلاثة اقسام قسم امر الله الأرض أن تحفظه وقسم امر سروس الملك ان يحفظه وثلث اختطفته الشياطين

وامر اورمزد بسد الثقوب التي صعد منها إبليس فبقى داخل السماء منقطعا عن أصله وقوته فانتصب لمنابذة اورمزد ورام الصعود إلى الجنان فدفعه عن ذلك قدر ثلاثة آلاف سنة ثم اعلمه انه يسعى في الباطل والخسار ويروم ما لا يقدر عليه واتفق الامر بينهما على ان يبقى إبليس وجنوده في قرار الضوء تسعة آلاف سنة ويروى سبعة آلاف سنة ثم يبطل ويحتمل خلقه الأذى في هذه السنين ويصبرون عليه وعلى ما ينالهم من الفقر والبلاء والموت وسائر الآفات ليعوضهم منها الحياة الدائمة في الجنان

واشترط إبليس لنفسه وشياطينه ثمانية عشر شرطا الأول منها ان تصير معيشة خلقة من خلق الله والثاني ان يكون ممن خلقه على خلق الله والثالث ان يسلط خلقه على خلق الله والرابع ان يخلط جوهر خلقه بجوهر خلق الله والخامس ان يصير له السبيل إلى ان يأخذ الطين الذي في خلق الله

والسادس ان يصير له من النور الذي في خلق الله ما يريد والسابع ان يصير له من الرياح التي في خلق الله حاجته والثامن ان يصير له من الرطوبة التي في خلق الله والتاسع ان يصير له من النار التي في خلق الله والعاشر ان يصير له من المودة والمصاهرة التي في خلق الله ليخلط الأشرار بالأخيار والحادي عشر ان يصير له من العقل والبصر الذي في خلق الله ليعرف خلقه مسالك المنافع والمضار والثاني عشر ان يصير له من العدل الذي في خلق الله ليجعل للأشرار فيه نصيبا والثالث عشر ان
تخفى على الناس معرفة عمل الصالحين والأشرار إلى يوم القيامة والحساب والرابع عشر ان يصير له السبيل إلى ان يبلغ بأهل بيت الشرارة والخبث غاية الغنى والدرجات ويصيرهم عند الناس صالحين والخامس عشر ان يصير له السبيل إلى ان يجعل كذب الأشرار مقبولا على الأخيار والسادس عشر ان يصير له السبيل إلى ان يعمر من أهل الدنيا من أراد من خلقه الف سنة أو ثلاثة آلاف سنة ويصيرهم أغنياء أقوياء قادرين على ما يريدون وان يلهم الناس حتى يكونوا باعطاء الأشرار أسخى منهم باعطاء الأخيار وأطيب نفسا والسابع عشر ان يصير له السبيل إلى افناء أهل بيت الصالحين حتى لا يعرف منهم أحد بعد ثلاثمائة وخمسين سنة والثامن عشر ان يملك امر من يحيى الأموات ويبقي الأخيار وينفى الأشرار إلى يوم القيامة
فتمت البيعة وأقاما عليها ودفعا سيفيهما إلى عدلين على ان يقتلا من رجع عن شرطه وامر الله تعالى الشمس والقمر والكواكب ان تجرى لمعرفة الأيام والشهور والأعوام التي جعلها عدة الانظار والامهال
ومما نص عليه زردشت ان للعالم قوة الهية هي المدبرة لجميع ما في العالم المنتهية مبادئها إلى كمالاتها وهذه القوة تسمى مشاسبند وهى على لسان الصابئة المدبر الأقرب وعلى لسان الفلاسفة العقل الفعالى ومنه الفيض الإلهي والعناية الربانية وعلى لسان المانوية الأرواح الطيبة وعلى لسان العرب الملائكة وعلى لسان الشرع والكتاب الإلهي الروح * (تنزل الملائكة والروح فيها) *

وأثبت غيره منشأه ومنشايه ويعنى بهما آدم وحواء في العالم الجسماني والعقل والنفس في العالم الروحاني

الفصل الثاني

الثنوية

هؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون ان النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه

وهؤلاء قالوا بتساويها في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح

١ – المانوية

أصحاب مانى بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن اردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام احدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام حكى محمد بن هارون المعروف بابى عيسى الوراق وكان في الأصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم ان الحكيم مانى زعم ان العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وانهما أزليان لم يزالا ولن يزالا وانكر وجود شئ الا من أصل قديم وزعم انهما لم يزالا قويين حساسين دراكين سميعين بصيرين وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفى الحيز متحاذيان تحاذى الشخص والظل

وانما تتبين جواهرهما وأفعالهما في هذا الجدول

= النور = الظلمة
الجوهر = جوهره حسن فاضل كريم صاف تقى طيب الريح حسن المنظر = جوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر
النفس = نفسه خيره كريمة حكيمة نافعة عالمة = نفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارة جاهلة
الفعل = فعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتفاق = فعلها الشر والفساد والضرر والغم والتشويش والتتير والاختلاف
الحيز = جهته جهة فوق وأكثرهم على انه مرتف ناحية الشمال وزعم بعضهم انه يجنب الظلمة = جهتها جهة تحت وأكثرهم على انها منحطة من ناحية الجنوب وزعم بعضهم انها بجنب النور
الأجناس = أجناسه خمسة أربعة منها أبدان والخامس روحه فالأبدان هي النار والنور والريح والماء وروحها النسيم وهى تتحرك في هذه الأبدان = أجناسها خمسة أربعة منها ايدان والخامس روحها فالأبدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وتدعى الهامة وهى تتحرك في هذه الأبدان
الصفات = حية خيرة طاهرة زكية وقال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له ارض وجو فأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي على صورة جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورائحتها أطيب رائحة وألوانها ألوان قوس قزح = ميتة شريرة نجسه دنسة وقال بعضهم كون الظلمة لم تزل على مثال هذا العالم لها ارض وجو فارض

الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي اكثف واصلب ورائحتها كريهة أنتن الروائح وألوانها ألوان السواد
= وقال بعضهم لا شئ الا الجسم والأجسام على ثلاثة أنواع ارض النور وهى خمسة وهناك جسم اخر الطف منه وهو النسيم وهو روح النور = وقال بعضهم لا شئ الا الجسم والأجسام على ثلاثة أنواع ارض الظلمة وجسم اخر اظلم منه وهو الجو وجسم اخر اظلم منه وهو السموم
= قال ولم يزل يولد النور ملائكة وآلهة وأولياء لا على سبيل المناكحة بل كما تتولد الحكمة من الحكيم والمنطق الطيب من الناطق قال وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع عالمه الخير والحمد والنور = قال ولم تزل تولد الظلمة شياطين واراكنة وعفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما تتولد الحشرات من العفونات القذره قال وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع عالمه الشر والذميمة والظلمة

ثم اختلفت المانوية في المزاج وسببه والخلاص وسببه قال بعضهم ان النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار وقال أكثرهم ان سبب المزاج ان أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت النور فبعثت الأبدان على ممازجة النور فأجابتها لاسراعها إلى الشر فلما رأى ذلك ملك النور وجه إليها ملكا من ملائكته في خمسة أجناس من أجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية فخالط الدخان النسيم وانما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم والهلاك والآفات من الدخان وخالط الحريق النار والنور الظلمة والسموم الريح والضباب الماء فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور وما فيه من مضرة وشر فساد فمن أجناس الظلمة

فلما رأى ملك النور هذا الامتزاج امر ملكا من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة لتخلص أجناس النور من أجناس الظلمة وانما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب لاستصفاء اجزاء النور من اجزاء الظلمة فالشمس تستصفى النور الذي امتزج بشياطين الحر والقمر يستصفى النور الذي امتزج بشياطين البرد والنسيم الذي في الأرض لا يزال يرتفع لان من شأنها الارتفاع إلى عالمها وكذلك جميع اجزاء النور ابدا في الصعود والارتفاع واجزاء الظلمة ابدا في النزول والتسفل حتى تتخلص الاجزاء من الاجزاء ويبطل الامتزاج وتنحل التراكيب ويصل كل إلى كله وعالمه وذلك هو القيامة والمعاد

قال ومما يعين في التخليص والتمييز ورفع اجزاء النور التسبيح والتقديس والكلام الطيب واعمال البر فترتفع بذلك الاجزاء النورية في عمود الصبح إلى فلك القمر ولا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر إلى نصفه فيمتلىء فيصير بدرا ثم يؤدى إلى الشمس إلى اخر الشهر وتدفع الشمس إلى نور فوقها فيسرى ذلك العالم إلى ان يصل إلى النور الاعلى الخالص ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من اجزاء النور شئ

في هذا العالم الا قدر يسير منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذي يحمل الأرض ويدع الملك الذي يجذب السماوات فيسقط الاعلى على الأسفل ثم توقد نار حتى يضطرم الاعلى والأسفل ٢ ولا تزال تضطرم حتى يتحلل ما فيها من النور وتكون مدة الاضطرام ألفا وأربعمائة وثمانيا وستين سنة

وذكر الحكيم مانى في باب الألف من الجبلة الأولى وفى أول الشابرقان ان ملك عالم النور في كل ارضه لا يخلو منه شيء وانه ظاهر باطن وانه لا نهاية له الا من حيث تناهى ارضه إلى ارض عدوه وقال أيضا ان ملك عالم النور في سرة ارضه وذكر ان المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والمزاج المحدث هو الخير والشر

وقد فرض مانى على أصحابه العشر في الأموال كلها والصلوات الأربع في اليوم والليلة والدعاء إلى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الأوثان وان يأتي على ذي روح ما يكره ان يؤتى اليه بمثله

واعتقاده في الشرائع والأنبياء ان أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ثم بعث شيثا بعده ثم نوحا بعده ثم إبراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ثم بعث بالبددة إلى ارض الهند وزردشت إلى ارض فارس والمسيح كلمة الله وروحه إلى ارض الروم والمغرب وبولس بعد المسيح إليهم ثم يأتي خاتم النبيين إلى ارض العرب

وزعم أبو سعيد المانوى رئيس من رؤسائهم ان الذي مضى من المزاج إلى الوقت الذي هو فيه وهو سنة احدى وسبعين ومائتين من الهجرة أحد عشر ألفا وسبعمائة سنة وان الذي بقي إلى وقت الخلاص ثلاثمائة سنة

وعلى مذهبه مدة المزاج اثنا عشر الف سنة فيكون قد بقي من المدة خمسون سنة في زماننا هذا وهو احدى وعشرون وخمسمائة هجرية
فنحن في آخر المزاج وبدء الخلاص فإلى الخلاص الكلى وانحلال التراكيب خمسون سنة

٢ – المزدكية

أصحاب مزدك ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ والد انو شروان ودعا قباذ إلى مذهبه فاجابه واطلع انو شروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله
حكى الوراق ان قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين الا ان مزدك كان يقول ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والأموال أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكى عنه انه امر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة
ومذهبه في الأصول والأركان انها ثلاثة الماء والأرض والنار ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر فما كان من صفوها فهو مدبر الخير وما كان من كدرها فهو مدبر الشر
وروى عنه ان معبوده قاعد على كرسيه في العالم الاعلى على هيئة قعود خسرو في العالم الأسفل وبين يديه اربع قوى قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور كما بين يدي خسرو أربعة اشخاص موبذ موبذان والهربد الأكبر والاصبهيد والرامشكر

وتلك الأربع يدبرون امر العالم بسبعة من ورائهم سالار وبيشكار وبالون وبراون وكازران ودستور وكوذك وهذه السبعة تدور في اثنى عشر روحانيين خواننده ودهنده وستاننده وبرنده خورننده ودونده وخيزنده وكشنده وزننده وكننده وابنده وشونده وبايندە

وكل انسان اجتمعت له هذه القوى الأربع والسبع والاثنا عشر صار ربانيا في العالم السفلى وارتفع عنه التكليف قال وان خسروا العالم الاعلى انما يدبر بالحروف التي مجموعها الاسم الأعظم ومن تصور من تلك الحروف شيئا انفتح له السر الأكبر ومن حرم ذلك بقي في عمى الجهل والنسيان والبلادة والغم في مقابلة القوى الأربع الروحانية

وهم فرق الكوذية وأبو مسلمية والماهانية والاسبيدخامكية والكوذية بنواحي الأهواز وفارس وشهرزور والاخر بنواحي سغد سمرقند والشاش وايلاق

٣ – الديصانية

أصحاب ديصان اثبتوا أصلين نورا وظلاما فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا

فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر وضرر ونتن وقبح فمن الظلام وزعموا ان النور حي عالم قادر حساس دراك ومنه تكون الحركة والحياة والظلام ميت جاهل عاجز جماد موات لا فعل له ولا تمييز وزعموا ان الشر يقع منه طباعا وخرقاوزعموا ان النور جنس واحد وكذلك الظلام جنس واحد وان ادراك النور ادراك متفق فان سمعه وبصره وسائر حواسه شئ واحد

فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه وانما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لأنهما في نفسهما شيئان مختلفان وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المحسة وانما وجدوه لونا لان الظلمة خالطته ضربا من المخالطة ووجده طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب وكذلك القول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومحستها وزعموا ان النور بياض كله وان الظلام سواد كله وزعموا ان النور لم يزل يلقى الظلمة بأسفل صفحة منه وان الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفحة منها

واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم ان النور داخل الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذى بها وأحب ان يرقصها ويلينها ثم يتخلص منها وليس ذلك لاختلاف جنسهما ولكن كما ان المنشار جنسه حديد وصفحته لينه وأسنانه خشنه فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينة حتى يدخل تلك الفرج فما أمكنه الا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول إلى كمال وجود الا بلين وخشونة

وقال بعضهم بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته فاجتهد النور حتى يتخلص منه ويدفعه عن نفسه فاعتمد عليه فلجج فيه وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجا فيه فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه

وقال بعضهم ان النور انما دخل اجزاء الظلام اختيارا ليصلحها ويستخرج منها اجزاء صالحة لعالمه فلما دخل تشبثت به زمانا فصار يفعل الجور والقبيح اضطرارا لا اختيارا ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه الا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الاضطراري وبين الفعل الاختياري

٤ – المرفيونية
أصحاب مرقيون اثبتوا أصلين قديمين متضادين أحدهما النور والثاني الظلمة واثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع وقالوا ان الجامع دون النور في المرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم
ومنهم من يقول الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدل إذ هو أقرب منها فامتزجت به لتطيب به وتلتذ بملاذة فبعث النور إلى العالم الممتزج روحا مسيحية وهو روح الله وابنه تحننا على المعدل الجامع السليم الواقع في شبكة الظلام الرجيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين فمن اتبعه فلم يلامس النساء ولم يقرب الزهومات أفلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك
قالوا وانما أثبتنا المعدل لان النور الذي هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشياطين وأيضا فان الضدين يتنافران طبعا ويتمانعان ذاتا ونفسا فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلا بد من معدل يكون بمنزلة دون النور وفوق الظلام فيقع الامتزاج منه وهذا على خلاف ما قالته المانوية وان كان ديصان اقدم وانما اخذ مانى منه مذهبه وخالفه في المعدل كالحاكم على الخصمين الجامع بين المتضادين لا يجوز ان يكون طبعه وجوهره من أحد الضدين وهو الله عز وجل الذي لا ضد له ولا ند
وحكى محمد بن شبيب عن الديصانية انهم زعموا ان المعدل هو الانسان الحساس الدراك إذ هو ليس بنور محض ولا ظلام محض وحكى عنهم انهم يرون المناكحة وكل ما فيه منفعة لبدنه وروحه حراما ويحترزون عن ذبح الحيوان لما فيه من الألم

وحكى عن قوم من الثنوية ان النور والظلمة لم يزالا حيين الا ان النور حساس عالم والظلام جاهل أعمى والنور يتحرك حركة مستوية مستقيمة والظلام يتحرك حركة عجرفية خرقاء معوجة فبيناهما كذلك إذ هجم بعض هامات الظلام على حاشية من حواشي النور فابتلع النور منه قطعة على الجهل لا على القصد والعلم وذلك كالطفل الذي لا يفصل بين الجمرة والتمرة وكان ذلك سبب المزاج ثم ان النور الأعظم دبر في الخلاص فبنى هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ولم يمكنه استخلاصه الا بهذا التدبير

٥ – الكينوية والصيامية والتناسخية منهم

حكى جماعة من المتكلمين ان الكينوية زعموا ان الأصول ثلاثة دون الأصلين اللذين أثبتهما الثنوية قالوا والنار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدها في الطبع فما كان من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والأرض متوسطة وهؤلاء يتعصبون للنار شديدا من حيث انها علوية نورانية لطيفة لا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء يخالفها في الطبع فيخالفها في الفعل والأرض متوسطة بينهما فتركيب العالم من هذه الأصول

والصيامية منهم امسكوا عن طيبات الرزق وتجردوا لعبادة الله وتوجهوا في عباداتهم إلى النيران تعظيما لها وامسكوا أيضا عن النكاح والذبائح

والتناسخية منهم بتناسخ الأرواح في الأجساد والانتقال من شخص إلى شخص وما يلقى الانسان من الراحة والتعب والدعة والنصب فمرتب على ما أسفله من قبل وهو في بدن آخر جزاء على ذلك والانسان ابدا في أحد امرين اما في فعل واما في جزاء وما هو فيه فاما مكافأة على عمل قدمه واما عمل ينتظر

المكافأة عليه والجنة والنار في هذه الأبدان واعلى عليين درجة النبوة وأسفل السافلين دركة الحية فلا وجود أعلى من درجة الرسالة ولا وجود أسفل من دركة الحية ومنهم من يقول الدرجة الاعلى درجة الملائكة والأسفل دركة الشياطين

ويخالفون بهذا المذهب سائر الثنوية فإنهم يعنون بأيام الخلاص رجوع اجزاء النور إلى عالمه الشريف الحميد وبقاء اجزاء الظلام في عالمه الخسيس الذميم

واما بيوت النيران للمجوس فأول بيت بناه افريدون بيت نار بطوس وآخر بمدينة بخارى هو بردسون واتخذ بهمن بيتا بسجستان يدعى كركو ولهم بيت نار آخر في نواحي بخارى يدعى قباذان وبيت نار يسمى كويسه بين فارس وأصبهان بناه كيخسرو وآخر بقومس يسمى جرير وبيت نار يسمى كنكدر بناه سياوش في مشرق الصين وآخر بأرجان من فارس اتخذه ارجان جد كشتاسب وهذه البيوت كانت قبل زردشت ثم جدد بيت نار بنيسابور وآخر بنسا وامر كشتاسب ان يطلب نارا كان يعظمها جم فوجدها بمدينة خوارزم فنقلها إلى دار بجرد وتسمى آذرخره والمجوس يعظمونها أكثر من غيرها وكيخسرو ولما خرج إلى غزو افراسياب عظمها وسجد لها ويقال ان أنوشروان هو الذي نقلها إلى كآريان فتركوا بعضها وحملوا بعضها إلى نسا

وفى بلاد الروم على أبواب قسطنطينية بيت نار اتخذه سابور بن اردشير فلم يزل كذلك إلى أيام المهدى وبيت نار بإستينيا على قرب مدينة السلام لبوران بنت كسرى

وكذلك بالهند والصين بيوت نيران

واما اليونانيون فكان لهم ثلاثة ابيات ليست فيها نار وقد ذكرناها
والمجوس انما يعظمون النار لمعان فيها منها انها جوهر شريف علوي ومنها انها ما أحرقت الخليل إبراهيم عليه السلام ومنها ظنهم ان التعظيم لها بنجيهم في المعاد من عذاب النار
وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة وإشارة والله اعلم
تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله الباب الأول أهل الأهواء والنحل